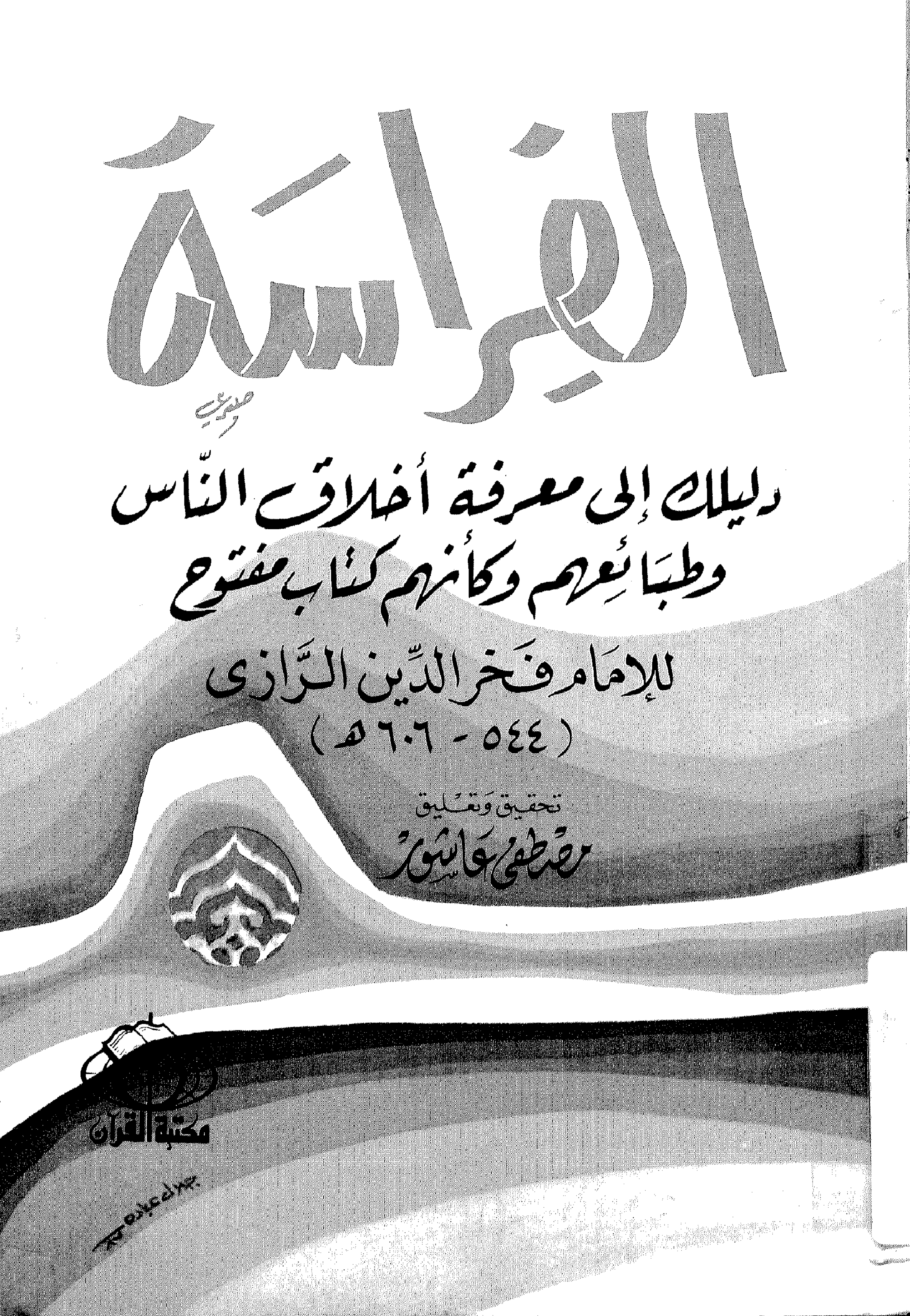


الفراسة
دليلك إلى معرفة أخلاق النّاس
وطبائعهم وكأنهم كتاب مفتوح
للإمام فخر الدِّين الرَّازي
(٥٤٤ - ٦٠٦ هـ)
تحقيق وتعليق
مصطفى عاشور
مكتبة القرآن



دليلك إلى معرفة أخلاق الناس
وطبائعهم وكأنهم كتاب مفتوح

لشيخ الإسلام

محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين المشتهر بخطيب الري

٥٤٤ / ٦٠٦هـ

تحقيق وتعليق

مصطفى عاشور

مكتبة القرآن

للطبع والنشر والتوزيع

٤٠ شارع رشدي - عابدين - القاهرة

تليفون : ٣٩١٨٦٩١ فاكس : ٣٩٣٧٣٢٦



السعودية

مكتبة الساعي : الرياض ت: ٤٣٥٣٧٦٨ – فاكس: ٤٣٥٥٩٤٥ – فرع جدة ت: ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم – بريدة ت: ٣٢٣١٤٣٤ – المدينة المنورة ت: ٨٢٤٢٧٧٥ – ص.ب : ٥٠٦٤٩ – ١١٥٣٣ الرياض
كنوز المعرفة : جدة ت: ٦٥١٠٤٢١ – فاكس: ٦٤٤٢٣٧٣ – ص.ب: ٣٠٧٤٦ – جدة: ٢١٤٨٧

المغرب

دار الاعتصام : 35/33 الممر الملكي – الأحباس – الدار البيضاء – ت: 85 42 30
فاكس: 39 45 44 02 212 00

الإمارات

دار الفضيلة : دبي – ديرة – ص. ب : ١٥٧٦٥ – ت : ٦٩٤٩٦٨ – فاكس : ٦٢١١٢٧٦

البحرين

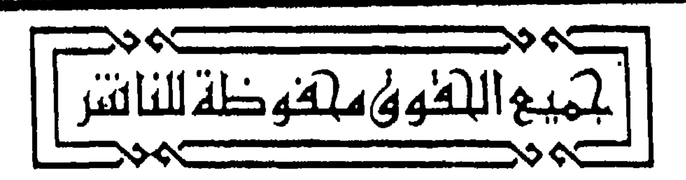
دار الحكمة : ص.ب : ٢٣٨٧٥ – هاتف : ٣٣٦٠٣٢

الجماهيرية العربية الليبية

دار الفرجاني : ص.ب : ١٣٢ هاتف ٤٤٨٧٣ – ٦٠٤٤٣١ طرابلس : الجماهيرية العربية الليبية

فلسطين

مكتبة اليازجي : غزة شارع الوحدة – فاكس : ٨٦٧٠٩٩ – ت : ٨٦١٨٩٢



تقـــديـم

حَسبُ الفِراسة أنها كانت – وستظل – منزلة من منازل ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ كما أشار إلى ذلك العلامة " ابن القيم " فى كتابه " مدارج السالكين " .

وماذاك إلا لأنها نور يقذفه الله فى قلب عبده يفرق به بين الحق والباطل ، والحالى والعاطل[1] ، والصادق والكاذب .

وهذه الفِراسة على حسب قوة الإيمان ، فمن كان أقوى إيمانا فهو أحَدُّ فِراسةً .

وقد قال " ابن مسعود " – رضى الله عنه – : أفرس الناس ثلاثة :

" العزيز فى " يوسف " حيث قال لامرأته : ﴿ **أكرمى مَثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً** ﴾[2]

و" ابنة شعيب " حين قالت لأبيها فى " موسى " : ﴿ **استأجره** ﴾[3] . و" أبو بكر " فى " عمر " – رضى الله عنهما ، حين استخلفه .

وفى رواية أخرى :

و" امرأة فرعون " حين قالت : ﴿ **قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا** ﴾[4] .

وكان " الصِّدِّيق " – رضى الله عنه – أعظم الأمةِ فِراسة وبعده " عمر بن الخطاب " – رضى الله عنه ؛ فإنه ما قال لشىء : " أظنه كذا " إلا كان كما قال .

---

(١) يقال : عطلت المرأة خلت من الحلى فهى عاطل ، والحالى من تحلى وتزين . والمراد أنه يفرق بين الشىء وضده .

(٢) سورة يوسف : ٢١ (٣) سورة القصص الآية : ٣٦ .

(٤) سورة القصص الآية : ٩ .

ويكفى فى فراسته موافقته ربه فى المواضع المعروفة . وفراسة الصحابة - رضى الله عنهم - أصدق الفراسة ، وأصل هذا النوع من الفراسة من الحياة والنور اللذين يهبهما الله تعالى لمن يشاء من عباده ، فيحيا القلب بذلك ويستنير ، فلا تكاد فراسته تخطىء ﴿ **أو من كان ميْتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها** ﴾[1] ؟

ومن هنا كان علينا أن نتقى فِراسة المؤمن ، لأنه يرى بنور الله .

وإمَامُنا فخر الدين الرّازى أشار إلى هذا النوع من الفراسة فى مقدمة كتابه هذا مبينا أنه لا يكتسب بالتعلم ، ولهذا قَصَرَ اهتمامه على نوع واحد من " الفراسة " ألا وهو :

الفراسة " الخَلقية " . وهى التى صنف فيها الأطباء وغيرهم واستدلوا بالخَلق على الخُلُق ؛ لما بينهما من الارتباط الذى اقتضته حكمة الله تعالى ! وأمام انتشار الشر ، وظهور الفساد فى البر والبحر ، وعدم تيسر الوسائل العلمية الحديثة للجميع كان لا بد من الإلمام بهذا العلم لمعرفة أخلاق الناس فى الخير والشر . وفراسة المتفرس تتعلق بثلاثة أشياء : بعينه ، وأذنه ، وقلبه .

ولكنها تعتمد - أول ما تعتمد - على جودة ذهن المتفرس ، وحدة قلبه ، وحسن فطنته .

كما تعتمد على ظهور العلامات والأدلة على من نتفرس فيه .

وهذا كله يتوقف على ما إذا خُلِّيَت النفس وطبيعتها فقد يكتسب الإنسان بالمقارنة والمعاشرة أخلاقَ من يقارنه ويعاشره !! وعندئذ تصبح تلك العلامات أسبابا لا مُوجبة ، فقد تتخلف عنها أحكامها لفوات شرط ، أو لوجود مانع ، وعلينا أن نتأمل ذلك ولا نعجل بالحكم دون رعايته .

---

(١) الأنعام : ١٢٢ .

وقديما كان اختلافهم فى الإجابة عن ذلك السؤال : هل الطبع يغلب التطبع ؟! وعلى كل فسوف يظل موضوع " الفراسة " من الأهمية بمكان حيث يقدم للإنسان منفعة جليلة !

وها هو ذا الدكتور " الكسيس كاريل " فى كتابه !

" الإنسان ذلك المجهول "

الذى ملأ الدنيا وشغل الناس من جميع الأجناس يقول : " إن معرفتنا بأنفسنا مازالت بدائية فى الغالب " وأكاد أحس - من خلال كتابه أنه فى عصرنا الحديث يفسح للرازى مكانا ليحدثنا عن " الفراسة " .

إن " كاريل " يقول فى كتابه : " إن قسمات الوجه تعبر عن أشياء أكثر عمقا من وجوه نشاط الشعور المخفاة ؛ ففى هذا " الكتاب المفتوح " يستطيع الإنسان أن يقرأ - لا فقط - الرذائل ، والفضائل ، والذكاء والغباوة ، والإحساسات ، والعادات التى يحرص الفرد على إخفائها - بل أيضا تكوينه البدنى .

والحقيقة أن شكل العظام ، والشحم ، والجلد ، والشعر ، يتوقف على تغذية الأنسجة بوساطة تركيب " بلازما " الدم ، أى بوساطة نشاط الغدد والجهاز الهضمى ؛ ولهذا فإن شكل الجسم يكشف عن حالة أعضائه ، كما أن سطح الجلد يعكس الحالات الوظيفية لغدد " الإِنْدُوكرَين " والمعدة ، والجهاز العصبى .

إنه يحدد الاتجاهات المرضية فى الفرد ، وحقيقة الأمر أن الأفراد الذين ينتمون إلى طوائف مختلفة من حيث التكوين البدنى ، لا يتعرضون للأمراض العضويّة ، أو العقلية نفسها ؛ إذ أن هناك تفاوتاً كبيرا من الناحية الوظيفية بين الرجال ، الطوال القامة ، العِراض المنكبين ، وبين قصار القامة عِراض المنكبين .

فطوال القامة - سواء أكانوا ضعافا أم رياضيين - يكونون أكثر استعدادا للإصابة بالسل ، والجنون المبكر ، فى حين يكون قصار القامة أكثر استعدادا للجنون الدورى ومرض السكر والنقطة ؛ ولهذا كان الأطباء القدامى يعطون أهمية كبيرة - وبحق - للمِزاج والغرائز حين تشخيصهم للأمراض ، فإن وجه كل شخص يفصح إفصاحا تاما عن وصف جسمه وروحه " وهكذا لم أجد ما هو أجدى فى تقديم كتاب الرازى من " الكسيس كاريل " ذلك الذى ملأ الدنيا وشغل الناس بكتابه " الإنسان ذلك المجهول " وحسبى فى هذا المقام أنها شهادة من أهلها لها وزنها واعتبارها على أنه لا يستطيع منكر - فى عصرنا - أن يتجاهل ما جاء فى تراثنا ، فحسب الأوائل أنهم وضعوا الأساس لمن يأتى بعدهم :

لقد كانت " فراستهم " تقوم على أساس " الاستدلال بالأحوال الظاهرة فى الجسد على الأحوال الباطنة " .

وشملت معارفهم اقتفاء الأثر ، ومعرفة أماكن المياه المخزونة فى باطن الأرض ، وامتدت معارفهم لتنسب الولد إلى أبيه ، وتلحقه به .

ولا يقلل من شأنهم أننا نجد من علماء اليوم من يخبرنا بموعد الكسوف والخسوف ، ومنهم من يستخدم علمه فى معرفة المتهم ، وإثبات التهمة عليه بما لا يدع مجالا للشك .

نعم لا يغض من شأنهم أن من علماء اليوم من يلتقط آثار البصمات ، وآثار الأقدام بطرق علمية مهما دقت تلك الآثار ، أو كانت خفيفة !

ومن علماء اليوم من يمكنه إثبات نسبة الطفل إلى أمه فيثبت النسب بما لا يدع مجالا للشك على أساس وجود علاقة بين دم الطفل ودم الأم .

ولقد أصبح العالِم يقيس الغضب والرضا بعد أن كانت تعرف بالفِراسة .

إن ما نجده من فراسة " العالِم " التى تغلغلت فى شتى نواحى الحياة يجعلنا نلقى نظرة على ما اشتهر به العرب من فراسة جعلتهم يحكمون على الشخص ، وخلُقه ، ومستقبله ، ومعارف وجهه ، لنتابع العِلمَ الوليد منذ نشأته ، وحتى نكون على بينة من أن التقدم والحضارة سلسلة متصلة الحلقات .

وسوف تظل علومهم ، ومعارفهم منارة يهتدى بها الباحثون عن الحقيقة .

ويقول " سُوفوكليس " :

" كثيرة هى عجائب الدنيا ! ولكن أعجبها هو الإنسان !! "

ومن البديهى أن نضيف :

" إن عظمة الخالق تتجلى فى مخلوقاته " .

والمخلوق الذى ظفر بتكريم الخالق هو الإنسان فتعال نتعلم كيف نتفرس معالمه مع الإمام الرازى فى كتابه الذى اخترناه لك من التراث .

القاهرة فى ذى الحجة سنة ١٤٠٧هـ
أغسطس سنه ١٩٨٧م .

مصطفى عاشور

دراسة التحقيق

مع المؤلف :

ماذا أقول – مُعَرّفا – من تعددت فى كتب التاريخ ألقابه ؟!

فهو الإمام . .
وهو فخر الدين . .
وهو الرازى . .
وهو شيخ الإسلام . .

وكما تعدذت " ألقابه " تعددت " كُناه " :

فهو أبو عبد الله . .
وهو أبو المعالى . .
وهو أبو الفضل . .
وهو ابن خطيب الرِّىّ . .
وهو ابن الخطيب . .

وهو أولا وأخيرا عربى قرشى من سلالة سيدنا أبى بكر الصديق !

ويقول " صاحب الأعلام " فى ترجمته :

الفخر الرازى (٥٥٤ - ٦٠٦هـ = ١١٥٠ - ١٢١٠م) محمد ابن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازى : الإمام المفسر . أوحد زمانه فى المعقول والمنقول وعلوم الأوائل . وهو قرشى النسب . أصله من طبرستان ، ومولده فى الرىّ وإليها نسبته ، ويقال له " ابن خطيب الرىّ " رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان ، وتوفى فى هراة . أقبل الناس على كتبه فى حياته يتدارسونها ، وكان يحسن الفارسية . من تصانيفه : " مفاتيح الغيب – ط " ثمانى مجلدات فى تفسير القرآن الكريم ، و" لوامع البينات فى شرح أسماء الله تعالى والصفات – ط – و" محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء

والمتكلمين – ط " و" المسائل الخمسون فى أصول الكلام – ط " و" الآيات البينات – خ " مع شرح ابن أبى الحديد له ، فى خزانة الأسكوريال ، المجموعة ٣٣ " . و" عصمة الأنبياء – و" الإعراب – خ " فى شستربتى الرقم ٣٣٧٤ و" أسرار التنزيل – خ " فى التوحيد . و" المباحث المشرقية – ط " . و" أنموذج العلوم – خ " . و" أساس التقديس – ط " : و" رسالة فى التوحيد " و" المطالب العالية – خ " فى علم الكلام . و" المحصول فى علم الأصول – خ " . و" نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز – ط " بلاغة . و" السر المكتوم فى مخاطبة النجوم – خ " و" الأربعون فى أصول الدين – ط " و" نهاية العقول فى دراية الأصول – خ " فى أصول الدين . و" القضاء والقدر " و" الخلق والبعث " و" الفِرَاسة " – وهو ما نقدمه إليك محققا . و" البيان والبرهان " و" تهذيب الدلائل " و" الملخص " فى الحكمة ، و" النفس " رسالة ، و" النبوات " رسالة . و" كتاب الهندسة " و" شرح قسم الإلهيات من الإشارات لابن سينا – ط " و" لباب الإشارات – ط " و" شرح سقط الزند للمعرى " و" مناقب الإمام الشافعى – ط " و" شرح أسماء الله الحسنى – ط " و" تعجيز الفلاسفة " بالفارسية . وغير ذلك . وله شعر بالعربية والفارسية ، وكان واعظاً بارعاً باللغتين[1] .

---

(١) طبقات الأطباء ٢ : ٢٣ . والوفيات ١ : ٤٧٤ ومفتاح السعادة ١ : ٤٤٥ – ٤٥١ والإعلام ، لابن قاضى شهبة – خ . وذيل الروضتين ٦٨ وابن الوردى ٢ : ١٢٧ . وآداب اللغة ٣ : ٩٤ ولسان الميزان ٤ : ٤٢٦ . ومختصر تاريخ الدول ٤١٨ وفيه : " كان الفخر الرازى يركب وحوله السيوف المحدبة ، وله المماليك الكثيرة والمرتبة العالية عند السلاطين الخوارزمشاهية " . والجامع المختصر ٣٠٦ . والفهرس التمهيدى ١٧٠ والبداية والنهاية ١٣ : ٥٥ . وطبقات الشافعية ٥ : ٣٣ . والطبقات الوسطى – خ . ومعجم المطبوعات ٩١٥ والتيمورية ٣ : ١٠٦ . والكتبخانة ٢ : ٢٦٣ . وتذكرة النوادر ٦٨ والوافى ٤ : ٢٤٨ . قلت : أوردت فى أسماء =

ونتوقف عند كلمة " الرازى " .

إن الرازىّ نسبة إلى مدينة الرِّىّ التى فيها ولد عام ٥٤٤ هجرية . وقد بادت بعد أنْ كانت عاصمة كبرى !!

ومازالت خرائبها وأطلالها على مقربة من مدينة طهران عاصمة إيران كما جاء فى معجم البلدان .

وقد تنقل من الرّى إلى خراسان وبخارى ، ثم العراق والشام .

وكان أكثر استقراره وتدريسه بُخوارَزم . ثم استوطن " هراة " من البلاد الأفغانية وكانت وفاته بها سنة ٦٠٤هـ .

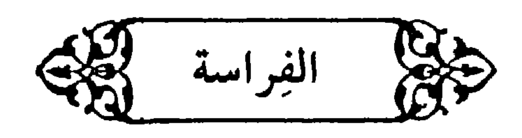
لقد قال فيه ابن خلكان : " فريد عصره ، ونسيج وحده ، فاق أهل زمانه فى علم الكلام والمعقولات ، له التصانيف المفيدة فى فنون عديدة " .

والحق أنه شخصية متعددة الجوانب ، كثيرة المواهب ، تكشف عن علم واسع ، وعقل حصيف .

ومن أجل هذا كله رحنا نقدم لك كتابه " الفراسة " .

فتعال نستعرض ما جاء فى كتابه لنتعرف عليه .

= كتبه " السر المكتوم " وقد سبق ذكره منسوباً إلى على بن أحمد الحزالى والعلماء مختلفون فى نسبته إلى أيهما كما فى كشف الظنون ٩٨٩ ويقربه من الفخر الرازى ، ما جزم به أحد المتصدين للرد عليه ، فى كتاب سماه " انقضاض البازى فى انفضاض الرازى " .



يحدثنا الإمام الرازى عن الفراسة فى ثلاث مقالات :

" المقالة الأولى "

ونجده فى المقالة الأولى يعرفنا بالفراسة والمِزاج ، ثم يبين فضيلة هذا العلم فى القرآن والسنة والعقل ، موضحا أقسام هذا العلم منتقلا إلى موضوع الكتاب ألا وهو :

" الاستدلال بالأحوال الظاهرة فى الجسد على الأحوال الباطنة "

وهذا النوع هو الذى يجرى فيه التعليم والتعلم ثم أشار إشارة واضحة إلى أنه لن يتعرض لغير هذا النوع مما يطلق عليه اسم " الفراسة " .

وعندئذ أخذ يعدد الأمور التى لا بد من معرفتها فى هذا العلم ، مبينا وسائل الاستدلال ، مسلطا الضوء على " صناعة القيافة " ، والطرق التى يمكن بواسطتها معرفة أخلاق الناس ، والأمور التى تجب رعايتها عند الرجوع إلى هذه الطرق .

" المقالة الثانية "

أما المقالة الثانية فإننا نراه قد راح يعدد علامات الأمزجة الكاملة حتى يتوسل بمعرفتها إلى معرفة :

الاعتدال والاختلال .

" المقالة الثالثة "

وفى المقالة الثالثة يتناول دلالة الأعضاء الجزئية على الأحوال النفسية ويستوفى ذلك فى سبعة عشر فصلا وبتمامها ينتهى الكتاب .

ميزة الكتاب :

يمتاز هذا الكتاب على غيره من الكتب التى تناولت علم الفراسة بما يلمسه القارىء من حرص الإمام الرازى فى كل كلمة على الصدق ، واحترام عقلية القارىء وكأنما يعطينا مفتاح كل شخصية كى يسهل علينا التعرف عليها والتعامل معها فى دنيا الناس التى اختلط فيها الحابل بالنابل وأصبحوا وقد صح فيهم قول الشاعر :

أرى الناس خداعـــاً   إلى جانب خداع
يأكلون مع الذئب   ويمشون مع الراعى !

حتى لتحس وأنت تقرؤه أنك مع أحدث كتب علم النفس !

كل ذلك فى إطار المبادىء الإسلامية المقررة بعيدا عما لا يَمُتّ إلى الفراسة وليس منها ؛ وهذا ما يجعلنا نضع كتاب الرازى فى الموضع اللائق به ، ونحرص على تقديمه ليملأ فراغاً طالما تطلع الكثيرون إلى من يملؤه بما يحترم عقل القارىء ومبادىء دينه القويم ، وإلى جانب هذا كله .

فالرازى يعد رائدا فى هذا المجال بعد أرسطو حيث قدم لنا تلخيصاً وافيا لكتابه مع زيادات مهمة !!

ولقد صنف الناس - فى القديم والحديث كتبا فى ذلك منهم " محمد بن الصوفى " فى كتابه " السياسة فى علم الفراسة " لكنه خلطه بالتنجيم وتأثير الأفلاك والأبراج .

وأخيرا . . حسب " الفراسة " أن الإمام ابن القيم أفرد لها منزلة من منازل ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ فى كتابه : مدارج السالكين .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما للفراسة من منزلة عند المسلمين بل وعند الناس أجمعين .

منهج التحقيق

١ - خرجت أحاديث الكتاب .

٢ - أشرت إلى أرقام الآيات والسور التى جاءت بها .

٣ - اهتديت - بعون الله - إلى تصويب ما جاء بالمخطوطة من تصحيف أو تحريف .

٤ - بذلت أقصى الجهد لمعاونة القارىء على تحقيق الاستفادة الكاملة - على الرغم من كثرة التقسيمات والتفريعات التى عرف بها الرازى - متبعا ما يأتى :

أ - شرح الألفاظ والأساليب التى تحتاج إلى مزيد من الإيضاح ، والبيان ، والضبط .

ب - الربط بين الفراسة والمذاهب الحديثة وما يتصل بالحياة الإنسانية : كعلم الأخلاق وعلم السياسة ، وعلم الاجتماع إلى جانب علم النفس .

جـ - وضع العناوين التى تبرز معالم الكتاب وتوضح شتى جوانبه .

د - وأخيرا قمنا بوضع " ملحق " بالمصطلحات التى جاءت فى مؤلف الإمام الرازى عن الفراسة .

مخطوط الكتاب

يقع المخطوط فى حوالى ٥٥ صفحة من القطع المتوسط بخط نسخى واضح جميل .

وتحتوى كل صفحة على حوالى تسعة عشر سطرا .

وقد عثرنا على المخطوط فى دار الكتب المصرية تحت رقم : (١٢ فراسة طلعت) .

والمخطوط مصور على ميكروفيلم تحت (رقم : ٢٤٦٠) .



كتاب الفراسة تاليف العالم العلامة
فخر الملة والدين محمد بن عمر
الرازي رحمه الله
تعالى عليه

الصفحة الأولى من المخطوطة



من كان اللحم على اليته قليلا وكانت انما مسح عليها مسحا
فاخلاقه رديه هذا الدليل ماخوذ من القرود وههنا اخر
الكلام والله اعلم بالصواب

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن يستحق الحمد لِهُوِيَّتِه[1] !
ويستوجب الشكر لِألوهيته !
والصلاة والسلام على محمد المخصوص برسالته !
أما بعد . . .

فهذه رسالة مشتملة على مقاصد قليلة من :

"علم الفراسة"

ونسأل الله حسن التوفيق . .

(١) الهُوِيَّة : الذات .

المقالة الأولى

فى الأمور الكلية فى هذا العلم وفيها فصول :
الأول : فى الفِراسة والمِزاج .
الثانى : فى بيان فضيلة هذا العلم .
الثالث : علم الفراسة والعلوم المناسبة له .

الفصل الأول

فى الفِراسة والمِزاج

الفِراسة[1] عبارةَ عن : " الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة " .

وتقرير هذا الكلام :

أن المِزَاج[2] : إما أن يكون هو النفس ، وإما أن يكون آلة للنفس فى أفعالها ، وعلى كلا التقديرين فالخلق الظاهر ، والخُلُق الباطن لا بد وأن يكونا تابعينِ للمِزاج ، فإذا ثبت هذا كان الاستدلال بالخلق الظَّاهر على الخُلُقِ الباطِن جاريا مجرى الاستدلال بحصولِ أحدِ المتلازمين على حصول الآخر ، ولا شك أن هذا نوع من الاعتبار صحيح .

(١) جاء فى المعجم الوسيط : (الفِراسةُ) : المهارة فى تعرّف بواطن الأمور من ظواهرها .

وفى الحديث : « اتَّقُوا فِراسةَ المؤْمن فإنّهُ يَنْظُر بنور الله » .

[فيض القدير : [تخ . ت) و[طب. عل]

والرَّأى المبنى على التفرُّس . يقال : فِراستى فى فلان الصلاح .

ويقال : تفرّسَ فى الشيء : نظر وتثبت .

ويقال : تفرس فيه الخير : رأى فيه مخايل الخير .

(٢) المِزَاجُ (بكسر الميم) : استعداد جسمى عقلى خاص كان القدماء يعتقدون أنه ينشأ عن أن يتغلب فى الجسم أحد العناصر الأربعة وهى : الدم ، والصفراء ، والسوداء ، والبلغم .

ومِنْ ثَمَّ كانوا يقولون بأربعة أمزجة وهى : الدموى ، والصفراوى ، والسوداوى ، والبلغمى .

أما المُحْدَثون من علماء النفس فيوافقون القدماء على أن الأمزجة ترجع إلى مؤثرات جسمانية ، ولكنهم يخالفون فى عدد الأمزجة وأسمائها ، إذ يعتدون بالإفرازات التى تفرزها الغدد الصُّمُّ كالغدة الدَّرَقية ، والغُدَّة الكُلْوِيَّة ، ويجعلونها من المؤثرات الأساسية فى تكوين المِزاج .[المعجم الوسيط]

الفصل الثانى

فى بيان فضيلة هذا العلم

ويدل عليه الكتاب ، والسنة ، والعقل .

أما الكتاب ، فقوله تعالى : ﴿ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ [الحجر : ٧٥]

وقوله : ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾ [البقرة : ٢٧٣]

وقوله : ﴿ فلَعَرفْتهم بسيماهم ولتعرِفَنّهم فى لحنِ القول ﴾ [محمد : ٣٠]

وقوله : ﴿ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ﴾ [الفتح : ٢٩]

وأما السنة فقوله عليه السلام : « إن يك فى هذه الأمة مُحَدَّث فهو عمر »(١)

---

(١) قال العلامة المناوى فى كتابه : " فيض القدير شرح الجامع الصغير " . تعليقا على الحديث الذى رواه البخارى فى تاريخه " اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله عز وجل " : قال الراغب : الفراسة : الاستدلال بهيئات الإنسان ، وأشكاله ، وألوانه ، وأقواله ، على أخلاقه وفضائله ، ورذائله .

وربما قيل هى : صناعة صيَّادة لمعرفة أخلاق الإنسان وأحواله . وقد نبه الله تعالى على صدقها بقوله : ﴿ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ وقوله : ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾ ولفظها من قولهم : " فرس السبع الشاة " . وسمى الفرس به ؛ لأنه يفترس المسافات جريا ، فكانت المراسة اختلاس العارف . وذلك ضربان : ضرب يحصل للإنسان عن خاطر لا يعرف سببه ، وهو ضرب من الإلهام ، بل من الوحى ، وهو الذى يسمى صاحبه المحدَّث كما فى خبر " إن يكن فى هذه الأمة محدَّث فهو عمر " وقد تكون بإلهام حال اليقظة أو المنام .

وحديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل » . رواه البخارى فى تاريخه ، والترمذى وضعفة الألبانى . أنظر ضعيف الجامع حديث رقم ١٨٢١ . =

وأما العقل فمن وجوه :
الأول : أن الإنسان مدنى بالطبع ؛ فلا ينفكُّ عن مخالطة الناس ، والشرُّ فاشٍ فى الخلقِ ، وإذا كانت هذه الصناعة تفيدنا معرفة أخلاق الناسِ فى الخير والشر كانت المنفعة جليلة .

الثانى : أن راضة البهائم[1] يستدلون بالصفات المحسوسة للخيل ، والبغال ، والحمير ، وسائر الحيوانات التى يريدون رياضَتها على أخلاقها الحسنة ، والقبيحة ، فإذا كان هذا المعنى ظاهرَ الحصول فى حق البهائمِ ، والسباع ، والطيورِ فَلأَن يكون معتبراً فى حق الناسِ كان أولى .

الثالث : أن أصول هذا العِلم مُستَنِدَةٌ إلى العلم الطبيعى[2] . وتفاريعه مقررة بالتجارب ، فكان مثلَ الطب سواءً بسواء ، فكل طعن يُذكر فى هذا العلم فهو بعينه متوجه فى الطب[3] .
قال أبو القاسم الراغب رحمة الله عليه :
" اشتقاق هذا اللفظ من قولهم : " فرسَ السَّبُع الشاةَ "[4] فكانت الفراسة عبارة عن اختلاس المعارف بهذا الطريق المعين .

والثانى : يكون بصناعة متعلَّمة ، وهى معرفة ما فى الألوان والأشكال ، وما بين الأمزجة والأخلاق ، والأفعال الطبيعية ، ومن عرف ذلك وكان ذا فهم ثابت قَوِى على الفراسة . وقد ألف فيها تآليفات فمن تتبع الصحيح منها اطلع على صدق ما ضمنوه .

(١) يقال : راض المَهرَ أى : ذَلَّلَهُ . والراضة : جمع رائض .
(٢) الطبيعى : نسبة إلى الطبيعة ، وعلم الطبيعة : علم يبحث عن طبائع الأشياء ، وما اختصت به من القوة ، والطبائع الأربع عند الأقدمين : الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة .
(٣) والرازى : قيل فى شأنه : كثير البراعة ، قوى النظر فى صناعة الطب ومباحثها .
(٤) كما جاء فى المعجم الوسيط : (الفريسة) : مايفترسه السبعُ من الحيوان .

الفصل الثالث

أقسام هذا العلم

اعلم أنه على قسمين :

أحدهما : أن يحصل خاطر فى القلب أن هذا الإنسان من حاله وخُلقه كذا وكذا من غير أن يحصل هناك علامة جسمانية ، ولا أمارة محسوسة . والسبب فيه : ما ثبت أن جواهر[1] النفوس الناطقة مختلفة بالماهيات[2] فمنها ما يكون فى غاية الإشراق والتجلى ، والبعد عن العلائق الجسمانية ، ومنها ما لا يكون كذلك . وكما أن النفس تقدر على معرفة الغيوب فى وقت النوم ، فكذلك النفس المشرقة الصافية قد تقدر على معرفة المغيبات حال اليقظة ، والنفوس التى شأنها ذلك تكون أيضا مختلفة فى هذا المعنى بالكم والكيف[3] .
وهذا القسم مما لا نذكره فى هذا الكتاب[4] .

---

(١) جوهر الشئ : حقيقته وذاته .
(٢) الماهيات جمع ماهية وتطلق على الذات .
(٣) الكَمّ مقدار الشئ .

وكيفية الشئ : حاله وصفته . والكيفية إن اختصت بذوات الأنفس تسمى كيفية نفسانية كالعلم والحياة ، وإن كانت راسخة فى موضعها تسمى مَلكَة ، وإلا سميت حالا : كالكتابة فإنها فى ابتدائها تكون حالا ، فإذا استحكمت صارت ملكة . [المعجم الوسيط] .

وجاء فى المنجد : الكيف عند الحكماء : هيئة قارة فى الشئ لا تقتضى قسمة ولا نسبة لذاته كالبياض والسواد .
(٤) ويقول الأستاذ العقاد فى مجال حديثه عن فراسة عمر : وكانت له فراسة عجيبة نادرة يعتمد عليها ويرى أن : " من لم ينفعه ظنه لم تنفعه عينه " . . .
ثم يقول : هذه الفراسة وشبيهاتها هى ضرب من استيحاء الغيب ، واستنباط الأسرار بالنظر الثاقب ، وما من عجب أنْ تكون هذه الخصلة قرينة من قرائن العبقرية فى حاشية من حواشيها . . ثم يتساءل : من هو :
الألمعىُّ الذى يُظنُّ بك الظَّنَّ كأن قد رأى وَقد سَمِعَا ؟ =

القسم الثانى : من هذا العلم : وهو الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة فهو علم يقينى الأصول[1] ظنى الفروع .

سئل بعض الصوفية عن الفرق بين هذين القسمين[2] فقال : " الظن يحصل بتقلب القلب فى الأمارات . والفِراسة تحصل بتجلى نور جبار السموات والأرض . ومن قوى فيه نور الروح المذكور فى قوله :

﴿ **وَنَفَخْتُ فيه من روحى** ﴾ [الحجر : ٢٩ ، ص ٧٢] قويت فيه هذه الفراسة .

واعلم أن " بطليموس " قال فى أول كتاب " الثمرة " .

" علم النجوم منك ومنها "

والشارحون قالوا :

" المراد أن صاحب الأحكام قد يحكم بمقتضى صفاء القوة النفسانية المطلعة على عالم الملكوت وهو المراد بقوله : " منك " .

= ثم يقول :

« والذى يعنينا من الفراسة وشبيهاتها فى صدد الكلام عن عمر - رضوان الله عليه - أن نحصى الخصال التى هى كالفراسة فى هذا الاعتبار وهى :

١ - التفاؤل .

٢ - والاعتداد بالرؤيا .

٣ - والنظر أو الشعور على البعد ، أو « التلباثى » كما يسميه النفسانيون المعاصرون .

ولكل أولئك شواهد شتى مما روى عن عمر فى جاهليته وبعد إسلامه إلى أن أدركته الوفاة »

(١) لأن أصوله مُسنَدة إلى العلم الطبيعى ، وتعاريفه مقررة بالتجارب .

(٢) الأول - كما سبق - حصول خاطر فى القلب من غير أن تكون هناك علامة جسمانية ولا أمارة محسوسة .

والثانى - الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة .

وقد يحكم بمقتضى دلائل الأجرام[1] الفلكية وهو المراد بقوله : " ومنها " . فههنا كذلك صاحب علم الفراسة لمجرد القوة القدسية وهو فراسة الأنبياء وأكابر الأولياء[2] .

وقد يحكم بمقتضى الأحوال الظاهرة المحسوسة فى الجسد على الأحوال الباطنة وهذا النوع من علم الفراسة هو الذى يجرى فيه التعليم والتعلم .



---

(١) الأَجرام (بفتح الهمزة) جمع جِرم والجِرم الجسم - وأحد الأجرام الفلكية أى النجوم ، والحكم بمقتضى دلائل الأجرام الفلَكية إخبارا عن الغيب ليس من الدين .

(٢) وأولياء الله : هم أحبابه الذين آمنوا به ، وراقبوه فى السر والعلن .

ويصير المؤمن وليا لله وحبيبا إليه بأن يؤدى ما فرض الله عليه من العبادات ، ثم يتودد إلى الله بفعل النوافل . وقد تناول ذلك الحديث القدسى الذى رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه وقد جاء فيه :

« . . . . **فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به** . . . » .

والمراد : أنه يجعله ينتفع بما يسمع من العلم والحكمة والمواعظ الحسنة ، والتجارب النافعة لذوى العقول والمواهب .

وكان البصر الذى يبصر به ؛ فيجعله يرى بنور الله ما فى السموات والأرض من آيات ؛ فيزداد إيمانه ويقينه ، ويرى مقدمات الأمور ، فيبصر بنور الله نتائجها !

الفصل الرابع

فى تعديد الأمور التى لا بد من معرفتها فى هذا العلم

اعلم أن الاستدلال على حصول الشيء :
تارة : بما يكون علة له .
وثانياً : بما يكون معلولا له .
وثالثاً : بما يكون معلولاً لعلته .

وهذا هو المسمى " بالاستدلال بأحد المعلولين على المعلول الثانى ". فههنا أيضا الأمر الذى يتوصل إلى معرفة الأخلاق الباطنة التى فى الإنسان تارة : يكون بعلته الموجبة له وهو " المزاج البدنى " .
وتارة : بمعلوله وأثره وهو " الأفعال الصادرة " عن الإنسان .
وثالثا : بسائر الأحوال التى هى كالمعلولات للمزاج الأصلى الإنسانى

القسم الأول :

واعلم أن معرفة المِزاج لا يمكن إلا بعد معرفة الأحوال التى منها يتركب . وبدن الإنسان مركب ، وكل مركب فلا بد له من علل أربع وهى :
المادية ، والصورية ، والفاعلية ، والغائية .[1]

---

(١) من مصطلحات الفلسفة : كل شيء بدأ يوجد أو وجد فعلا له علة ، وأنواع العلل كثيرة أهمها :
١ - العلة المادية : وهى ما يوجد الشيءَ بالقوة .
٢ - والعلة الفاعلية : وهى ما يوجَد الشيء بسببه .
٣ - والعلة الغائية : وهى ما يوجَد الشيء لأجله .
٤ - والعلة الصورية : وهى ما يوجد الشيءَ بالفعل .
٥ - والعلة الناقصة : ما كانت غير ذلك .

ولقد جاء فى المعجم الفلسفى ما يأتى :
(أ) عند أرسطو : تنقسم العلل إلى أربعة أقسام : فاعلة كالنجار الذى يصنع =

فالمادّة القريبة لبدن الإنسان هى العضو والروح ، وأبعد منها الأخلاط الأربعة وأبعد منها الأركان .

وأما الصورة الحاصلة للبدن الإنسانى فهى الأمزجة ، والقُوَى ، وأما الغاية فهى الأفعال المطلوبة من تلك القوى . وأما الفاعل فالمراد منه ههنا الأمر الذى متى كان على القدر المعتدل كان الحاصل هو الصحة ، ومتى كان خارجاً عن الاعتدال كان الحاصل هو المرض ، وهو المسمى عند الأطباء بالأسباب الستة الطبيعية وهى : جنس الهواء ، وجنس المتناولات ، وجنس النوم ، واليقظة وجنس الحركة ، والسكون ، وجنس الاستفراغ والاحتقان ، وجنس الأعراض النفسانية .

فهذا ضبط الأسباب الأربعة التى منها يتكون بدن الإنسان فيجب على صاحب علم الفراسة أن يعرف أن أثر كل واحد من الأركان والأخلاط والأمزجة أى خُلقٌ هو ؟ وأن يعرف أن أثر كل هواء أى خلق هو ؟ وأن يعرف أن أثر كل غذاء اصلى أى خلق هو ؟ وكذلك يعرف الأخلاق التى هى مقتضيات الأسنان ، والأجناس ، والسحنات والألوان ، والعادات ، فإذا أحاط علماً بمجموع هذه الأمور ، ثم أحاط علماً بعلامات الأخلاط والأمزجة أمكنه أن يستدل بها على معرفة الأخلاق الباطنة

= الكرسى ، ومادية وهى : الخشب والحديد الذى يصنع منه ، وصورية : وهى الهيئة التى يتم عليها شكله ، وغائية وهى : الجلوس عليه . وقدر لهذه النظرية نجاح فى القرون الوسطى ، ومنها أخذت العلة الأولى ، وعلة العلل وتطلق على الله وحده .

(ب) عند المحدثين :

اقتصر الأمر تقريبا على العلة الفاعلة ، وتسمى السبب ، وهو ما يترتب عليه مسبب عقلا أو واقعا ، فالمقدمات الصادقة سبب صدق النتيجة ، وبعض الظواهر الطبيعية سبب ظواهر أخرى .

وهذا هو المعنى العلمى السائد اليوم .

وأما القسم الثانى : من هذا العلم وهو الاستدلال بالأفعال الظاهرة من الانسان المعينّ على خلقه وطبيعته الباطنة فهذا مما لا يلتفت إليه فى هذا العلم ؛ لأن المطلوب من هذا العلم تحصيل معرفة الأخلاق الباطنة من قبل الوقوف على الأفعال الظاهرة .

والقسم الثالث : وهو الاستدلال بأحد المعلولين على الثانى فهذا هو الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأحوال الباطنة . وتلك الأمور الظاهرة ستة : الألوان ، والأسنان ، والأجناس ، والسحنات ، والأشكال ، وغيرها من الأمور التى يستقضى القول فى شرحها وبيانها فى هذا الباب فهذا هو الإشارة إلى ضبط قواعد هذا العلم .



الفصل الخامس

في الفرق بينه وبين العلوم القريبة منه .

اعلم أن هذا العلم يقرب منه أنواع أخرى كثيرة ونحن كرها :

فالنوع الأول : أمور لايمكن ردها إلى الأصول العلمية بل لايمكن الرجوع فيها إلا إلى التجارب المرويَّة عن المتقدمين وهى مثل ما يوجد فى أبدان الناس من الشامات والخيلان وما يعرض فى الأعين من الاختلاج والضربان وما يوجد فى أبدان الخيل من الدوائر التى سمَّتها العرب بأسماء مخصوصة ، فتيمَّنوا ببعضها وتشاءموا بالبعض وقد ، يوجد مثلها فى أبدان غيرها من الحيوانات إلا أنهم لم يتفقدوا تلك العلامات إلا فى الخيل دون ما سواه وذلك لأن أشرف الحيوانات بعد الإنسان هو الفرس وذلك لقوة ذكائه وكثرة الانتفاع به وقت الطلب والهرب وحسن صورته وكمال استعداده لقبول الرياضات الإنسانية وربما قاس بعضهم أحوال الشامات والخيلان الموجودة فى أبدان الناس عليها حال كونها فى أبدان الخيل .

النوع الثانى : من العلوم المشابهة لهذا العلم الاستدلال بالخطوط الموجودة فى الأكف والأقدام وهى التى تسمى أسراراً ثم إنه يوجد لها فى التقاطع والتباين والطول والقصر وفيها يوجد فيها من الفُرَج المتسعة تارة والمتضايقة أخرى أشكال مختلفة ، ويأخذ منها أصحاب "علم الفراسة" دلالات مختلفة ، يعتبرونها فى أبواب مُقَدِّمة المعرفة ، ويحكم بها أصحاب هذا العلم على الموصوفين بها تارة بطول الأعمار ، وتارة بقصرها ، وبالسعادة والشقاوة ، والغنى ، والفقر . وهذا علم يكثر إعماله فى العرب ، وفى الهند[1] .

---

(١) وهذا مخالف لما جاء فى الكتاب العزيز ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾ ؟

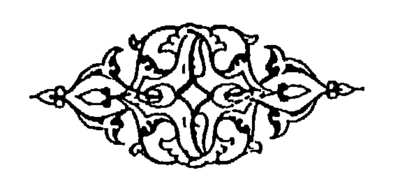
قال الأعشى فى معاتبة من يُوعِدُه بالإضرار به :

فانظر إلى كفى وأسرارها

هل أنت إن أوعدتنى ضائرى ؟!

النوع الثالث : من هذا الباب (النظر فى أكتاف الضأن والمعز) .

فإنه يوجد فيها إذا قوبلت بشعاع الشمس خطوط مخصوصة وأشكال يستدل بها المستَفرِس[1] على أحوال كثيرة من أحوال العالم الأكبر وهى الحروب الواقعة بين الملوك ، وأحوال الخِصب ، والجَدب ، وهؤلاء الذين يعتبرون هذا العلم . قلما يستدلون على الأحوال الجزئية للإنسان المعين[2] .



(١) المتأمل والناظر وصاحب الفراسة .

(٢) وهذا أيضا من قبيل الرجم بالغيب .

النوع الرابع - صناعة القيافة[1]

واعلم أن هذه الصناعة على قسمين :

أولاً : قيافةالأثر .

ثانيا : قيافة البشر .

★ قيافة الأثر

أما قيافة الأثر : فهى عبارة عن تتبع آثار الأقدام ، والأخفاف ، والنّعال فى الطرق القابلة للأثر ، وهى التى تكون تَرِبَةً . يتشكل القدم بالذى يوضع عليه فإن القائف قد تهيأ له بهذه الصناعة أن ينتفع انتفاعاً ظاهراً فى دَرك الطيبات ، وُوُجدَانِ الضَّوَالّ[2] وهذه الصناعة قِوامها بقوة القوة الباصرة ، وقوة القوة الخيالية الحافظة .

★ قيافة البشر

وأما قيافة البشر : فهى صناعة يستدل بها على معرفة الإنسان ، وإنما سمى هذا النوع بقيافة البشر ، لأجل أن صاحبها ينظر فى بَشَراتِ[3] الناس وجلودهم وما يتبع ذلك من هيئات الأعضاء وخصوصا

---

(١) قاف أثر فلان تتبعه . والقائف الذى يتتبع الآثار ويعرفها . والقائف الذى يعرف النسب بفراسته ونظره إلى أعضاء المولود . والجمع قافة .

(٢) وجدان الضوال . الاهتداء بهذه الأقدام إلى ما يضل فى الصحراء من القوافل . والضَّوَالّ : جمع ضالّة وهى ما يضل الطريق ؛ فالهدف منها الاهتداء إلى من يفر من الناس أو ما يضل من الحيوان . وكما جاء فى المعجم الوسيط (الضالة) كل ما ضل أى ضاع وفقد من المحسوسات والمعقولات أو من البهائم خاصة ويقال : " الحكمة ضالّة المؤمن " والجمع : ضوالّ .

(٣) جمع بَشَرة (ظاهر الجلد) .

الأقدام فيستدل بتلك الأحوال على حصول النَّسب . وحاصل الكلام فيها : أنه ثبت فى المباحث الطبية أنه لا بد من حصول المشابهة بين الأولاد والوالدين ثم تلك المشابهة قد تقع فى أمور ظاهرة يعرفها كل أحد ، وقد تقع أيضا فى أمور خفية لا يدركها إلا أرباب الكمال والتمام فى القوة الباصرة ، وفى القوة الحافظة .

وهذا النوع من العلم موجود فى العرب فقط ، وفى قبائل معينة منهم مثل بنى[1] مدلج وغيرهم . وهذا النوع من العلم لما كان مداره على حصول الكمال فى الحواس الظاهرة ، والباطنة ، ثم إن ذلك الكمال مما لا يمكن اكتسابه ولا شرحه بالتعليم والتصنيف ، بل الناس يقولون : إنه علم متوارث فى أعراق[2] مخصوصة من العرب لا يشاركهم فيه غيرهم فقد رأى جمع من أكابر الفقهاء التعويل عليه فى تصحيح[3] الأنساب .

واعلم أنا قد ذكرنا أن هذا العلم إنما يكمل بسبب قوة القوة الباصرة ، وقوة القوة الحافظة ، فظاهر أن من كانت هذه القوى فيه أكمل كان اقتداره على الاهتداء فى المسالك المجهولة فى ظلمات البر والبحر أكمل ، وقد يبلغ الواحد إلى حيث لا يشتبه عليه شىء من الطرقات المجهولة فى البر والبحر ، والعرب كانوا يسمون الدليل إذا بلغ الغاية فى الجودة " خَرِباً " .

وقال أهل اللغة : هذا اسم مشتق والمراد منه أنه يُبصر فى مثل " خَرب "[4] الإبرة بجودة حِسّه وقوة خيالِهِ ، وأيضا قد يستعين

---

(١) من قبيلة كنانة .

(٢) أعراق جمع عِرق وهو أصل كل شىء . أى فى بيوت يتوارثه الأبناء عن الآباء .

(٣) المراد : إثبات صحّه النسب .

(٤) الخَربُ من الإبرة ثقبها .

صاحب هذه الصناعة بالأمور السماوية تارة ، وبالأحوال الأرضية أخرى .

الأول - الاستعانة بمعرفة الكواكب ومنازل القمر

أما الأول : فبأن يستعين بمعرفة مسامتات[1] الكواكب الثابتة ومنازل القمر كما قال الله تعالى **﴿ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ﴾** [الأنعام : ٩٧] .

معرفة الجبال

أما الثانى : فبمعونة الجبال وربما عرفوا البقعة المعينة من الأرض بشم

---

(١) السمت : نقطة فى السماء فوق رأس المشاهد . والتسامت : التقابل ، والتوازى . أى وهو الذى أوجد النجوم لهدايتكم فى ظلمات الليل فى البر والبحر وفى ذلك بيان لبعض آثارها الكونية .

ولا يزال العلم يبحث عن آثارها فيكشف جوانب من آياته - تعالى - فى هذه الأجرام .

أما من يحاولون كشف أستار الغيب عن طريق هذه النجوم ، فهم مخطئون مخالفون لتعاليم الإسلام . ويقول الإمام على رضى الله عنه : " أيها الناس ، إياكم وتعلم النجوم - إلا ما يهتدى به فى بر أو بحر - فإنها تهدى إلى الكهانة ، والمنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر فى النار " " نهج البلاغة " .

وترى أن النهى منصب على ما يسمى " علم التنجيم " وهو العلم المبنى على الاعتقاد بروحانية الكواكب ، وأن لتلك الروحانية العلوية سلطانا معنويا على العوالم العنصرية وأن من يتصل بها بنوع من الاستعداد ومعاونة من الرياضة تكاشفه بما غيب من أسرار الحال والاستقبال .

ترابها[1] وأن لكل بقعة منها رائحة خاصة يعرفها الماهرون فى هذا العلم ، ولا شك أن الانتفاع بهذا العلم عظيم ، ولولاه لهلكت القوافل ، وضاعت الجيوش ، وأقول : قد يكون الإنسان بليداً جداً فى العلوم الحقيقية ، وإن كان فى غاية الذكاء والفِطنة فى هذا العلم ، وبالعكس ، بل نقول : إن هذا النوع من التمييز قد تَحَصَّل فى الإبل والفرس .

وقال مصنف الكتاب (ختم الله له بالحسنى) :

" قد كنت فى قافلة فى مغارة " خُوارَزم "[2] وضللنا الطريق وعجز الكل من الاهتداء فقدَّمُوا جملاً هَرِماً وألقَوا زمامه على رقبته ، وتبعوه فأخذ ينتقل من جانب إلى جانب ، ومن تلٍّ إلى تلّ ، فتارةً كان يذهب يمينا وتارة شِمالاً ، وتارة يصعد ، وتارة ينزل ، واستمر على هذه الحالة مقدار فرسخين[3] وخفنا على أنفسنا إلى أن رأينا أنا قد وصلنا إلى الجادة[4] المستقيم ، والطريق المعلوم ، فتعجبنا كل التعجب أن تلك البهيمة كيف اهتدت إلى الجادة !!

---

(١) ومن معارف العرب أيضا : " الرِّيافة " وهى : استنباط الماء من باطن الأرض ، والاستدلال على وجوده بما تنم عليه رائحة نباتها ، أو شميم ترابها وستأتى فى النوع الخامس .

(٢) خُوَارَزم : إقليم منقطع عن خراسان وعما وراء النهر وهى آخر جيحون على جانبيه ، وهى مدينة خصيبة كثيرة الطعام والفواكه وأكثر أهلها قبائل تركمانية وجاء فى قاموس الأمكنة والبقاع : وقد دخلت منذ سنة ١٨٧٠م فى حوزة الحكومة الروسية كسائر بلاد التركستان ، وتعرف اليوم باسم حكومة سيرداريا ، وقد تغيرت معالمها الأصلية .

(٣) (الفرسخ) : مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال و(الميل) مقياس للطول قدر قديما بأربعة آلاف ذراع ، وهو الميل الهاشمى ، وهو برّىّ ، وبحرىّ ، فالبرى يقدر الآن بما يساوى ١٦٠٩ من الأمتار ، والبحرىّ بما يساوى ١٨٥٢ من الأمتار .

(٤) (الجادَّة) وسط الطريق ، و الطريق الأعظم الذى يجمع الطرق .

علم مهندسى المياه ومستنبطيها

النوع الخامس : من العلوم المناسبة لعلم الفراسة علم مهندسى المياه ومستنبطيها فى البقاع السهلية والجبلية لإخراج الأنهار ، ورفعها إلى وجه الأرض ، وأن هذه الصناعة مما يعظم نفعها فى عمارة البلاد ، وإحياء الموات من البقاع ؛ وذلك لأنه لا يوجد فى كل بقعة من بقاع الأرض مياه تنصَبُّ من شواهق الجبال إلى بطون الأودية ، فحينئذ يحتاج هناك إلى أن تستنبط المياه من قعر الأرضين ، ولا بد لصاحب هذه الصناعة من حِس كاملٍ ، وتخيُّلٍ قوىٍّ ، والأصل الذى عليه مدار هذه الصناعة معرفة تُرابِ الأرَضين بألوانها ، وخواصِّها : السهلىّ والجبلى منها ، والرملى والصخرى منها .

استنباط معادن الفلزات

النوع السادس : من العلوم المناسبة لهذا العلم استنباط معادن الفلِزّات[1] ، فإن معدن الذهب وغيره ليس لها بواطن هذه الجبال ، ولا شك أنه لا بد وأن يحصل فى عروق تلك الجبال علامات تدل على حصول هذه الفلزات .

الاستدلال بأحوال البروق

النوع السابع : ما حصل عند العرب من الاستدلال بأحوال البروق وتأمل أحوال السحاب على نزول الغيث وعدم نزوله وأخص الناس بهذا العلم فإنهم لاشتداد حاجتهم إلى الغيوث[2] التى بها كانوا يراعون أحوال السحاب والبروق فلا جرم ولأجل كثرة التجربة وقفوا

---

(١) (الفِلزّ) : عنصر كيماوى يتميز بالبريق المعدنى والقابلية لتوصيل الحرارة والكهرباء .

(٢) جمع غيث وهو المطر .

على ضوابط تلك الأحوال فعرفوا أنه متى حدث الشكل الفلانى والهيئة الفلانية فى الغيم نزل المطر كما أن مجامع تلك الاستدلالات محصورة فى أمور :

أحدها – الموضع الذى منه ينشأ السحاب بشرط أن يعرفوا أحوال الجانب المقابل لذلك المنشأ .

وثانيها – معرفه كون ذلك السحاب رقيقا أو كثيفا .

وثالثها – معرفه لون السحاب .

ورابعها – كيفية أحوال الرياح .

وخامسها – كيفية أحوال البروق .

وعند الوقوف على هذه الأحوال يعرفون أن ذلك فاطر[1] لِلجودِ

---

(١) أى منشق عن الجُود وهو المطر الغزير وبهذا يتحقق مرادهم ، ولقد كان للعرب سبق فى المجال فكانوا يقومون بما تقوم به مصلحة الأرصاد الآن !

فلقد أرشدهم عقلهم الفطرى إلى تحصيل معلومات أولية مبنية على قوة النظر ، أو صدق الحَدس ، أو التقليد والمحاكاة استمدوها من التجربة أو المشاهدة أو المخالطة ؛ فعرفوا من علم الفلك النجوم ومواقعها ، والأنواء وأوقاتها ، والكواكب وصورها ومطالعها وغروبها وألوانها وأشكالها ، وتوصلوا بذلك إلى معرفة أوقات الخِصب والمَحل والريح والمطر ، كما اهتدَوا بها فى ظلمات البر والبحر وقد كانوا فى هذا العلم أبرع منهم فى أى فن سواه .

ويقول ابن قتيبة فى تفضيل العرب على العجم : " إن العرب القدامى كانوا أعلم الأمم بالكواكب ومطالعها ومساقطها " وكانوا يستنبئون الأحوال الجوية بالأنواء والنجوم عند اختلافها وتعاقبها على منازلها طلوعا ومغيبا ، ويرون أنها علة الأمطار والرياح والحر والبرد .

واستدلوا على المطر بلون السحاب ، وعرفوا مهاب الرياح ووضعوا لها أسماءها . وفى إحدى النسخ ماطر للجود .

أو للرذاذ وأن أى البروق خُلّب ، وأيها ذات صَيِّب[1] ، ولما كثرت تجاربهم فى هذا الباب وجاء فى غريب أبى عبيد أن النبى ﷺ سأل عن سحابة مرّت فقال : « **كيف ترون قواعدها وبواسقها أجون أم غير ذلك** » ؟ ثم سأل عن البرق أجفواً ، أو وميضاً ، أم يشق شقاً ؟ فقالوا : " بل يشق شقاً " فقال ﷺ « **جاءكم الحيا** »[2] اعلم أن أكثر

---

(١) الخُلَّب : السحاب يومض برقه حتى يُرجَى مَطَرُه ، ثم يُخلِفُ ويتقشع .

ويُقَالُ : برقٌ خُلَّبٌ ، والبرق الخُلَّبُ [بالوصفية] ، وبرقُ خُلَّبٍ [بالإضافة] .

ويشبه به من يعد ولا يُنجز .

والصَّيب : السحاب ذو الصوب ، والمطر بقدر ما ينفع ولا يؤذى ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ **أو كصيب من السماء** ﴾ .

(٢) قال أبو عبيد فى حديثه عليه السلام حين سأل عن سحائب مرت فقال : كيف ترون قواعدها وبواسقها ورحاها ، أجَون أم غير ذلك ؟ ثم سأل عن البرق فقال : أخفواً أم وميضا ، أم يشق شقا ؟ فقالوا : يشق شقا . فقال رسول الله ﷺ : جاءكم الحيا قال أبو عبيد : القواعد هى أصولها المعترضة فى آفاق السماء ، وأحسبها مشبهة بقواعد البيت ، وهى حيطانه ، والواحدة منها : قاعدة ؛ قال الله تبارك وتعالى ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت** ﴾

[سورة البقرة آية ١٢٧]

وأما البواسق ، ففروعها المستطيلة إلى وسط السماء وإلى الأفق الآخر ، وكذلك كل طويل فهو باسق ، قال تبارك وتعالى :

﴿ **والنخل باسقات لها طلع نضيد** ﴾ [سورة ق آية ١٠]

والحقو : الاعتراض من البرق فى نواحى الغيم .

[الحيا مقصور : المطر والحديث فى الفائق ٣٦٢/٢ وبهامشه جون بالضم والفتح مفرد .

وفيه لغتان : يقال : خفا البرق يخفو خفوا ويخفى خفيا .

والوميض : أن يلمع قليلا ثم يسكن ، وليس له اعتراض . =

سكان المفاوز والصحارى يحتاجون إلى المطر فى معاشهم ، وأما سكان الحضر فلا حاجة لهم إليه ؛ فلا جرم البدويون بلغوا فى هذا العلم إلى غاية ما أدركها أهل الحضر ، وهذا المعنى أن يكون للهند والترك والعرب خوض فى هذا العلم ؛ لأن الغالب على الهند ترويج الأكاذيب فربما كان الواحد منهم قد عرف تلك العلامات وأحاط بها فتوسل بذلك إلى ترويج النواميس[1] : مثل أن يَدّعى أنه يدفع البرد عن مزارعهم وكرومهم وعمارات أراضيهم .

وطريق الحيلة فيه أنهم لا يدعون ذلك إلا فى السحب الربيعية فإنه ليس من شأنها أن تُطبِقَ على الآفاق ، بل إنما تنعقد فى مواضع من الجو متفرقة فتأتى بالبَرَدَ[2] ثم تنحل سريعاً ، فتصير السحابة جَهاماً[3] فمن عرف أحوال السحاب معرفة تامة بسبب التجارب التى ذكرنا فربما عرف أن السحابة التى تولدت ههنا لا تمطر هنا بل تغير إلى موضع آخر قريب منه حينئذ يدعى ذلك الإنسان أنه طرد تلك السحابة عن هذا الموضع ، إما لأجل الرقية ، أو لأجل الشفاعة عند الله ؛ فيقع الأمر كما ادعاه ، فيصير ذلك خديعة قوية وفتنة عظيمة عند الحشوية[4] والعوام ، فهذا جملة الكلام فى العلوم المناسبة لعلم الفراسة .

= وأما الذى يشق شقًّا فاستطالته فى الجو إلى وسط السماء من غير أن يأخذ يمينا ولا شمالا .

وأما قوله : أجون أم غير ذلك ؟ فإن الجون هو الأسود اليحمومى وجمعه : جُون وأما قوله : كيف ترون رحاها ؟ فإن رحاها استدارة السحابة فى السماء ، ولهذا قيل : رحا الحرب وهو الموضع الذى يستدار فيه لها .

(١) جمع ناموس : وهو القانون .

(٢) البَرَد : الماء الجامد ينزل من السحاب قطعا صغارا ، ويسمى ، حب الغمام ، وحَبّ المزن .

(٣) الجَهام : السحاب لا ماء فيه .

(٤) الحشوية أو الحَشَوية) : نسبه إلى الحشو أو الحشا : طائفة تمسكوا بالظواهر ، وذهبوا إلى التجسيم وغيره .

الفصل السادس

فى الطرق التى بها يمكن معرفة أخلاق الناس ، وهى ستة :

★ الطريق الأول فى هذا الباب
بحسب الشكل والهيئة

اعلم أن الأفعال الإنسانية : منها طبيعية صادرة بمقتضى المِزاج الخلقى ، والفطرة الأصلية ، ومنها - تكليفية صادرة بحسب تأديب العقل ورياضة الشرع .

أما القسم الثانى - فلا يمكن الاستدلال به أَلْبَتَّةَ على أحوال الطبيعة ، والخُلق الباطن ؛ وذلك لأن الموجب له ليس هو الطبيعة الأصلية بل شىء آخر .

أما القسم الأول - فذاك هو الذى يمكن الاستدلال به على الأخلاق الباطنة ، فإن الإنسان يحصل له حال ثوران الغضب فيه شكل مخصوص ، وهيئة مخصوصة ، وحال اشتغاله بالوقاع[1] شكل آخر ، وهيئة أخرى ، وحال استيلاء الخوف عليه ، شكل ثالث وهيئة ثالثة .

وهذه الأشكال والهيئات تخالف كل واحد منها غيرها ومباينها مباينةً محسوسة مشاهدة .

إذا عرفت هذا فنقول : ذلك الخلق الباطن وتلك الهيئة الظاهرة

(١) يقال : واقَعَ المرأة وِقاعاً (بكسر الواو) : جامعها .

أمران متلازمان فى الأكثر . فأما بعد الاستقراء[1] التام فإننا عرفنا أن تلك الهيئة الظاهرة المخصوصة بالغضب لا تحصل إلا عند حصول الغضب .

وكذا القول فى سائر الأحوال ولما عرفنا حصول هذه الملازمة فحينئذ يمكننا أن نستدل بكل واحد منهما على الآخر .

فإن عرفنا أولا – فى الإنسان كونه غضوبا عرفنا أنه لا بد وأن يظهر على وجهه تلك الهيئة المخصوصة وإن شاهدنا أولا تلك الهيئة المخصوصة حاصلةً فى وجهه – عرفنا أن الغالب عليه هو الغضب ، فهذا قانون صحيح . وهذا هو تحقيقُ قولِ من يقول : إن الذى يكون شكله مشتبها بشكل الغضبان يجب أن يكون غَضوبا ، والذى يكون شكله شبيها بشكل الخائف يجب أن يكون الخوف غالبا عليه ، وهذه المقدمة كما أنها مستعملة فى هذا العلم فهى أيضا مستعملة فى الطب ، فإنهم قالوا : إنَ وجَدتَ البدن فى طبيعته الأصلية شبيهاً بالحال التى تجده عليها وقت حدوث السُّل[2] فهو شديد الاستعداد للسل ، ومتى وجدته شبيهاً بالمستسقى[3] فهو شديد الاستعداد

(١) الاستقراء التام هو : تتبع جميع الجزئيات للوصول إلى نتيجة كلية .

وقد جاء فى علم النفس – الدوافع النفسية – للدكتور مصطفى فهمى قوله :

" والطريقة المباشرة لمعرفة انفعالٍ مًّا تقوم على ملاحظة المظاهر الخارجية ، وهى عبارة عن مجموع الحركات الصادرة عن الجسم ، وتشمل تلك الحركات : التغيرات والانفعالات ، والأوضاع التى يتخذها الجسم " .

وهذا يَتفق مع ما سبق به الرازى .

(٢) يقال : (سلَّهُ الداء) : أصابه ، فهو مسلول ، و(سُلَّ) أصيب بالسل وهو مرض يصيب الرئة يُهزل صاحبه ، ويضنيه ، ويقتله .

(٣) وهو المصاب بمرض الاستسقاء وهو تجمع سائل مَصلِىّ فى التجويف البريتونى لا يكاد يبرأ منه !

للاستسقاء . ومتى وجدته شبيهاً بصاحب الماليخوليا[1] فهذه العلة سريعة إليه . ومتى وجدتة سريع الحركة سيىء الخلق مضطرب الأحوال فهو شديد الاستعداد " للمانيا أو القرانيطس "[2] وعلى هذا القياس يجرى الحكم فى سائر الأحوال .

★ الطريق الثانى فى هذا الباب

فى اعتبار الأحوال المذكورة بحسب الأصوات .

وتقريره أنّا نشاهد أن الإنسان حال استيلاء الغضب عليه يصير صوته غليظا جهيراً ، وعند استيلاء الخوف عليه يصير صوته حادًّا خفيفا ؛ والسبب فيه : أن عند استيلاء الغضب عليه تخرج الحرارة الغريزية من الباطن إلى الظاهر فيسخن ظاهر البشرة ، والحرارة توجب توسيع المنافذ وتفتيح السدود فى آلات الصوت . وهذه الأحوال توجب صيرورة الصوت غليظا ثقيلا .

و" الاستسقاء الدماغى " مرض خِلقى فى الغالب يزداد فيه السائل المخى الشوكى فى بطون الدماغ فيمددها ويرققه .

(١) يقال فلان (مُمتَلَخُ العقل) : ذاهب العقل فاسده و" الماليخوليا " مرض عقلى .

(٢) جاء فى كتاب الطب العربى سلسلة " الألف كتاب " تأليف إدوراد . ج . براون - فى مجال الحديث عن التراجم اللاتينية غير الدقيقة للمؤلفات العربية - قوله : " ففى الترجمة اللاتينية " لقانون " ابن سينا المطبوع فى فينسيا سنة ١٥٤٤ نجد فى الوجه ١٩٨ فى باب أمراض الرأس والعقل عبارة عندما نرجع إلى العبارة المقابلة لها فى النص العربى (ص٣٠٢) المطبوع فى روما سنة ١٥٩٣ نجد هذا المرض الخفى يظهر على أنه (قرانيطس) ولكن الاسم الصحيح وهو موجود فى مخطوط قديم حين حصلت عليه منذ زمن قريب هو (فرانيطس) وهو الخبل (جنون الخطر) .

وأما عند الخوف[1] فإن الأمرَيكون بالعكس من ذلك فإن الحرارة الغريزية تنحصر فى الباطن ؛ فيستولى البرد على الظاهر وذلك يوجب تضييق المجارى من آلات الصوت ؛ وذلك يوجب صيرورة الصوت حادًّا ودقيقا ، وإذا عرفت الكلام فى هذين المثالين فاعتبر مثله فى سائر الأحوال فإذا ضبطنا الأحوال النفسانية ، ثم تأملنا أن الحادث عند حدوث كل نوع منها ، أى أنواع الأصوات علمنا حينئذ أن بين تلك الحالة النفسانية وبين ذلك الصوت المخصوص مناسبة واجبة ، وملازمة تامة ؛ فحينئذ يمكننا أن نستدل بحصول ذلك الصوت المخصوص على الخُلُق المخصوص وهذا قانون صحيح .

ولقد سمعت أن حكماء الهند كانوا يعالجون الأمراض الجسمانية بالموسيقى ؛ وذلك لأنهم إذا عرفوا أن الصوت الحادث عند الغضب هو الصوت الفلانى ، عرفوا أن طبيعة هذا الصوت مُشَاكِلَةَ[2] لطبيعةِ الغضب فى الحرارة واليبوسة ، فإذا حدث لإنسان مرض بارد ،

(١) الانفعال نوع من السلوك مصحوب باضطرابات عُضوية فى الجهاز العصبى ، والحشوى ، والدموى ، والغدّى والعضلى نتيجة لحالة من الإثارة والتغير وعدم الاستقرار" .

ومعنى هذا أن الانفعال طاقة محركة للسلوك فكل انفعال يحدث لدى الكائن الحى يتبعه بالضرورة القيام بسلوك معين ، واستجابة خاصة .

وتصاحب انفعال الغضب والخوف تغيرات فسيولوچية شديدة .

ويقول علماء النفس أيضا : إنه تنجم عن الانفعال تغيرات جسمية ظاهرة وباطنة : [كما فى شكل ١ ، ٢]

ففى حالة الخوف : يصفر الوجه ، ويزداد الخوف ، ويقف شعر الرأس ، وتتسع حدقة العين ، وتغور الوجنتان ، وترتعش الأطراف ، وقد يسيل البول بلا إرادة .

(٢) مشابهة ومماثلة .

وأسمعوه ذلك الصوت على سبيل علاج الضد بالضد[1] فكان يحصل النفع البين فى هذا الباب .

★ الطريق الثالث فى هذا الباب

أن الحيواناتِ العُجم[2] ليس لها عقل يد عوها إلى فعل الحسن أو يمنعها من القبيح ، بل أفعالها لا تحصل إلا على وفق أمزجتها ، ومقتضى طبائعها ، وأخلاقها الفطرية ، فلا جرم فعل كل حيوان يدل على خُلُقه الباطن ، ثم إن عرفنا أن الخُلُقَ الباطن ، والخُلق الظاهر معلوم ، بَانَ المزاج الأصلى ، فإذا رأينا إنسانا يشابه حيوانا فى أمر من الأحوال الظاهرة فحينئذ نستدل بتلك المشابهة فى الخلق الباطن استدلالاً بحصول أحد المعلولين على حصول المعلول الثانى .

فإن قيل : إنه يمتنع كَونُ الإنسان مشابها لذلك الحيوان من كل الوجوه ، بل لا بد من حصول المخالفة بين الإنسان وبين تلك البهيمة فى أغلب الصفات وأكثر الأحوال ، فلِمَ كان الاستدلال بحصول المشاركة بينهما فى تلك الصفة الواحدة على حصول المشاركة بينهما فى الخلق الباطن أولى من الاستدلال بحصول المخالفة بينهما فى أكثر الصفات والأحوال على حصول المخالفة بينهما فى ذلك الخلق الباطن ؟!

فالجواب عنه من وجهين :

الأول – أن إلحاق الشيء بشِبهه مقدمة مقبولة عند الجميع ؛ ولهذا السبب قيل : الجنسية عِلَّةُ الضم[3] ، ولذلك إذا وقعت صورة

---

(١) وقد قالوا : فداونى بالتى كانت هى الداء !

(٢) غير الناطقة .

(٣) (الجنسية) : نسبة إلى الجنس ، و(الجنس) : الأصل والنوع (وفى اصطلاح المنطقيين) : ما يدل على كثيرين مختلفين بالأنواع ، فهو أعم =

واحدة بين صورتين مختلفتين والمشابهة بين تلك الصورة وبين إحدى هاتين الصورتين أكثر من المشابهة بينهما وبين الصورة الأخرى فإن الطّبع يميل إلى أن إلحاقها بالصورة التى هى أكثر مشابهة أولى .

إذا عرفت هذا فنقول إن هذه المقدمة الوهمية تحرك العقل إلى هذا الحكم فى أول الأمر ، ثم إنا نضم إلى تلك المقدمة الوهمية الاستقراء التام ، والتجربة الطويلة ، فإن طابق حكم الاستقراء حكم الوهم المذكور ، فحينئذ نُعَوِّلُ على تلك المقدِّمَةِ ونحكم بصحتها .

والحاصل أنا لا نُعَوِّل[1] على موجب القياس وحده ، ولا على التجربة وحدها ، بل نعول على مجموعهما .

الوجه الثانى – فى الجواب أنا إذا رأينا حصول المشابهة فى تلك الحالة المخصوصة بين الإنسان المخصوص وبين الحيوان ، فههنا يجب علينا أن نعتبر أحوال سائر الحيوانات وإذا شاهدنا أن كل حيوان حصلت فيه تلك الآثار الظاهرة فإنه يحصل فيه ذلك الخُلُق وبالعكس ، فههنا يحصل عَقدٌ[2] قَوِىٌّ بسبب هذه الطرد[3] والعكس أن المستلزم لذلك الخلق الباطن هو ذلك الخلق الظاهر .

مثاله : إذا شاهدنا كل حيوان كان قوى الأعضاء عريضَ الصدر فهو شجاع ، واعتبرنا هذه الحالة فى أنواع كثيرة من البهائم

= من النوع . فالحيوان جنس ، والإنسان نوع ، وكل من الحيوان والإنسان ينتميان إلى جنس واحد فنضم أحدهما إلى الآخر ونلحقه به ونقيسه عليه فيما يشبهه فيه من الصفات .

(١) لا نعتمد كل الاعتماد على القياس وحده ، بل لا بد من الاستعانة بنتائج التجربة وصولاً إلى حكم سليم .

(٢) عقد : اعتقاد .

(٣) (الطَّرد) : هو القياس دار الحكم فيه مع الوصف وجودا وعدما . أما (العكس) : فهو القضية فى المنطق أجرى فيها العكس ، وهو أيضا فى المنطق تبديل فى طرفى القضية لتنشأ قضية أخرى مساوية للأولى فى الصدق .

والوحوش ، ورأينا أن الأمر كذلك فحينئذ يحصل عندنا اعتقاد قوى بأن هذه الحالة تستلزم الشجاعة ، فإذا شاهدنا إنساناً متصفاً بهذه الصفة قضينا عليه بالشجاعة بحسب الظن الغالب .

★ الطريق الرابع فى هذا الباب

أن نقول : لا شك أن الإنسان نوع تحته أصناف ، وهم الأمم الكبار الأربع : وهم الفرس ، والروم ، والهند ، والترك ، ولكل واحد منَ هذه الأصناف خلق مخصوص فى الظاهر وخلق مخصوص فى الباطن ، وإذا رأينا الشكل الخاص ببعض الأصناف حاصلا فى إنسان ، حكمنا بأنه حصل الخلق الملائم لذلك الشكل فيه ، مثاله : أهل المشرق طوالُ القُدودُ[1] ، أقوياء القلوب ، شجعانٌ .

وأهل المغرب صغار الجثة ، ضعاف القلوب ، وإذا رأيت مشرقيا على شكل المغربى فاقض بحصول أخلاق المغاربة فيه .

★ الطريق الخامس فى هذا الباب

اعتبار حال الذكور والإناث .

واعلم أن الذكر من كل نوع من أنواع الحيوان أكمل حالا وأقوى مِزاجاً من الأنثى ، والسبب فيه أن المِزاج الذكورى إنما يحصل بحسب استيلاء الحرارة واليبوسة ، والمزاج الأنثوى إنما يحصل بسبب استيلاء البرد والرطوبة .

وهذا المعنى يقتضى أحولاً فى البدن وأحوالاً فى النفوس . فأما الأحوال البدنية فأمور :

(١) القدود : جمع قد وهو القامة واعتدالها .

الأول – أن الذكور أصلب أبداناً ، وأشد اكتنازا[1] ، والإناث أرخى أبداناً .

الثانى – أن الذكور أقصف[2] والإناث أكثر لحمية .

الثالث – أن الأنثى من كل جنس من أجناس الحيوان تكون أصغر رأسا من الذكر ، وألطف وجها ، وأدق عنقاً ، وأضيق صدراً ، وألطف أضلاعاً .

وأما الوَرِك[3] والمواقع التى تلى الفخذين فهما فى الأنثى أكثر لحماً مما فى الذكر ، والساقان من الأنثى أغلظ ، والقدم منها أحسن من قدم الذكر ، وثدياها أكبر بكثير من ثدى الرجال وأعصاب الإناث ألين ؛ بسبب أن ما عليها من اللحم أشد رطوبة !

وأما الأحوال النفسانية فأمور :

الأول – أن الذكور أقوى شهوةً ، وأكثر هضماً وأكثر حركة وانتصاباً .

الثانى – أن الذكر أعظم بيضا[4] ، وأكثر شجاعة وإقداماً على الأهوال ، وأشد غضباً .

الثالث – الذكر أقوى فى الأفعال النفسانية من الأنثى . والمراد بالأفعال النفسانية جودة الذهن ، وحسن الرؤية ، والقدرة على تحصيل العلوم .

الرابع – الأنثى يجب أن تكون أكْثر صمتا وسكوتاً من الذكر ، وأقوى نفساً وأقل جَلَداً وأسهل انقياداً للغير .

(١) امتلاء باللحم مع صلابة .

(٢) يقال : أقصف الشجر : صار دقيقا أو رقيقا .

(٣) الوَرِك : ما فوق الفخذ . مؤنثة . وينطق أيضا بفتح فسكون .

(٤) يقال باض فلان القوم : أى دخل حماهم واستأصلهم وفى بعض النسخ نبضا .

الخامس – الأنثى يجب أن تكون أقل غضباً من الذكر ، وأقل رغبة في الانتقام ، إلا أن الأنثى أشد مكراً وشططاً وقِحَةً[1] من الذكر وذلك يدل على ضعف مِزاجها .

السادس – أن الكرم ومحاسن الأخلاق في الرجال أكثر منها في النساء . إذا عرفت هذه المقدمة فنقول : إن " صاحب علم الفراسة " يجب عليه أن يتأمل أن الحادث عند حصول الخُلُق المعين في المرأة ، أى الأشكال هو ؟ وأن الحادث عند حصول الخلق المغين في الرجال أى الاشكال ؟ ثم عند ذلك إذا شاهد في الوجه وسائر أعضائه شكل المرأة يقضى عليه بذلك الخلق الباطن وتلك الحالة النفسانية ، والعكس .

الطريق السادس – أنا إذا عرفنا بشيء من الطرق المذكورة حصول خلق مخصوص في الباطن ، فقد يمكننا أن نستدل بحصول ذلك الخلق على حصول خلق آخر .

ومثاله : أنا إذا عرفنا كون الإنسان سريع الغضب في كل شيء ، عرفنا أنه لا يكون تام الفكرة في الأمور ؛ وذلك لأن قوة الغضب تدل على سخونة مزاج الدماغ وهذه السخونة توجب تعذر إتمام الفكرة .

وأيضاً إذا علمنا في إنسان كونه وقحاً فاعلم أنه لص نذل[2] ، أما اللصوصية فلأنها تابعة للفُجر ، وأماالنذالة فلأنها تابعة لعدم الحرية ، والوقاحة دالة على حصولها .

ومن هذا الباب ما قاله أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه : " من لانت أسافله ، صَلُبَت أعاليه ومن صُبَّ الماء بين فخذيه ذهب الحياء من عينيه " . والسبب فيه : أن هذه الحالة أَخَسّ الحالات ، فالنفس التى رضيت بها لا بد وأن تكون راضية بكل القبائح والفضائح .

---

(١) القِحَةُ : قلة الحياء ، والاجتراء على القبائح .

(٢) النذل : الخسيس المحتَقر والساقط في دين أو حسب . والوقاحة – كما سبق – قلة الحياء ، والاجتراء على القبائح .

الفصل السابع

في الأمور التي يجب رعايتها عند الرجوع إلى هذه الطرق وهي أمور ثلاثة :

★ الأمر الأول

أن كل واحد من هذه الدلائل ليس دليلا يقينيا بل دليلا يفيد الظن الضعيف ، فكلما كانت الدلائل المتطابقة على المدلول الواحد أكثر كانت في إفادة عدم الظن أقوى ، فيجب على صاحب هذا العلم ألا يعتبر بالدليل الواحد ، ولا بالدليلين ، بل يجب عليه أن يعتبر جميع الوجوه في هذا الباب .

★ الأمر الثاني

أن التعويل في هذا الباب على معرفة الصور الظاهرة .

اعلم أن التفاوت بين الأمور المحسوسة قد يكون ظاهرا جليا يدركه كل من له حِسٌّ سليم ، وقد يكون خفيًّا لا يدركه إلّا مَن كان كاملا في القوة الباصرة ، إلا أن يكون ضعيف الحفظ ، قليل الجمع لأشتات الصورة المحسوسة ، وعلى كلا التقديرين فإن حكم الإنسان الذي يكون حالهُ في الإبصار ، والحفظ هكذا يكون حكما ضعيفا .

(١) يقول القزويني في كتابه : "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"
(القوى المدركة) التي في الباطن خمس :
الأولى – الحسّ المشترك وهي قوة في مقدم الدماغ تدرك صورة المحسوسات على سبيل المشاهدة وذلك غير البصر .
الثانية : القوة المتخيلة .
الثالثة : الوهم – الرابعة : الحافظة – الخامسة : المفكرة .

أما الإنسان إذا كان كاملا فى القوة السامعة المدركة للأصوات فإنه لا بد وأن يدرك مقادير التفاوت بين الأشكال وبين الأصوات .

ثم إذا كان قوى القدرة على جمع أشتات مثل المحسوسات وصورها فحينئذ يكون شديد الاستعداد لهذا العلم .

ثم إذا اعتنى بَعدَ ذلك بهذا الشأن ، وضَبَطَ جميع الآيات[١] المختلفة للحيوان وأصناف الناس بحسب أحوال الأخلاق ضبطا لا يشتبه عليه شيء منها بغيره ، وواظب على هذه الصفة مدة ، فإنه يقوى أمره فى هذا الباب .

روى أن " اقليمونَ " الحكيمَ كان صاحبَ هذا العلم ، وكان مَلِكُ زمانه مشهوراً بالصيانة[٢] والعفاف فأمر إنسانا حتى نقش صورته على كاغد[٣] وبعثها إلى " أقليمون " وأمر ذلك المبلغ ألا يعرف أن هذه الصورة صورة ذلك الملك فلما نظر " أقليمون " الى تلك الصوة قال :

" هذا رجل عظيم الرغبة فى الزنا " فاستبعدوا ذلك الكلام وحملوه على جهله ، فلما رجعوا إليه وأخبروه به فبقى الملك متعجبا من شدة فِطنته[٤] ، ثم ركب إليه ، وأكرمه ، وقال : " صدقت !! كنت كذلك ، إلا أنى كنت أصون نفسى عن تلك الفاحشة " .

وإنما ذكرنا ذلك ؛ لأن الإنسان ربما نظر فى شيء من هذه الأجزاء ، ثم حكم بأحكام باطلة فاسدة ، فظن أن ذلك لأجل أن

(١) الآيات : العلامات الدالة وفى إحدى النسخ الهيئات .
(٢) بصيانة نفسه عما يسيء إليها ، وصان عِرضه : وقاه مما يعيبه . أما العفاف فهو : كف النفس عما لا يحل ولا يجمل من قول أو فعل .
(٣) الكاغد : القِرطاس . (معرب) والقرطاس الصحيفة يكتب فيها [وتثلث قافه بهذا المعنى] .
(٤) الفِطنة والفَطانة : قوة استعداد الذهن لإدراك ما يرد عليه فى حذق ومهارة وقدرة على تبين الأمر وعِلمه .

هذا العلم فاسد ، وليس الأمر كذلك ، بل السبب فيه أن مع الإحاطة بالقوانين الكلية لهذا العلم لا بد من أمور :

أحدها – " أن علم النجوم منك ومنها " .

وثانيها – الحواس القوية .

وثالثها – المواظبة التامة ، والتجربة الكثيرة ، فعند اجتماع هذه الأمور تسهل هذه الصناعة ، وهكذا الحال فى علم الطب ، والنجوم وسائر الصنائع[1] .

★ الأمر الثالث

أن هذه الدلائل إذا تعارضت فإنه لا بد من المصير إلى الترجيح وهو من وجوه :

الأول – أن الدلائل الدالة على حصول الخُلُق المعيَّن إن كانت حاصلة فى العضو ، وهو المحل لذلك الخُلُق فهى أقوى من الدلائل الحاصلة فى عضو آخر مثله إذا حصلت دلائل فى الوجه والعينين على كون هذا الإنسان " جباناً " وحصلت دلائل أخرى فى الصدر والكتفين على كونه " شجاعا " فالنوع الثانى من الدلائل أولى ؛ ذلك لأن معدن " الشجاعة " هو القلب ، والدلائل القائمة بالأعضاء القريبة أولى بالرعاية من الدلائل القائمة بالأعضاء البعيدة .

وأيضا فيحمل إن تَحَصَّل الدليلان معا على سبيل الامتزاج فكلما كانت دلائل " الجبن " ضعيفة يحصل فيه شىء من الجبن ، وكلما كانت دلائل الشجاعة قوية حصل فيه من الشجاعة أكثر ، فيكون

(١) المراد بها العلوم .

ذلك الشخص شجاعا دون الغاية وفوق الوسط ، واعتبر هذا فى جميع الأقسام ، وعند هذا يجب أن يعلم أن معدن القوة الباطنة هو الدماغ ومعدن القوة الشهوانية هو الكبد .

الثانى - أن الدلائل إذا تعارضت ، فتعادلت فى الكمية ، والكيفية ، وجب التوقف ، وإن كان أحد الجانبين أكثر كمية والجانب الآخر أقوى كيفية ، وكانت قوة الكيفية من أحد الجانبين معادلة لقوة الكمية من الجانب الآخر ، وجب التوقف . أما إذا حصل الترجيح إما بحسب الكمية ، أو بحسب الكيفية أو بحسب ما يترك منهما وجب الترجيح .

الثالث - أن أقوى الأقسام دلالة على الأحوال الباطنة الاستدلال بأحوال الأخلاط والأمزجة[1] ، والقوى[2] ، والإنسان ، والأجناس[3] ؛ لأنها كالأمور الذاتية الجوهرية ، ويتلوها الاستدلال بالمشابهات ، والأغذية ؛ لأنها كالأمور الخارجية اللازمة ، ويتلوها الاستدلال بالمشابهات الحاصلة بين الذكور والإناث من الناس ، وفى آخر الأمر يعتبر الدلائل المستنبطة من مشابهات الحيوانات .

---

(١) أخلاط الإنسان فى الطب القديم أمزجته الأربعة وهى : الصفراء ، والبلغم ، والدم ، والسوداء .

(٢) القُوى : جمع قوة وهى : مبعث النشاط ، والنمو ، والحركة ، وتنقسم إلى طبيعية ، وحيوية ، وعقلية ، كما تنقسم إلى باعثة وفاعلة .

(٣) الأجناس جمع جنس : الأصل ، والنوع . وفى اصطلاح المنطقيين : ما يدل على كثيرين مختلفين بالأنواع ، فهو أعم من النوع ، فالحيوان جنس والإنسان نوع . وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ، ونضيف أنه : فى علم الأحياء : أحد شطرى الأحياء المتعضية ، مميزا بالذكورة أو الأنوثة ، فذكر نوع من الأنواع ، وبخاصة النوع البشرى ، جنس يناظره جنس الإناث .

الرابع – أن هذه الدلائل قد تكون مشتركة بين الأخلاق المختلفة مثل : أن شكل الوَقِح ، وشكل الشجاع يكون واحدا قلما يظهر التفاوت ، فإذا حصل الاشتباه من هذا الوجه فإنه يجب الرجوع إلى اعتبار سائر الدلائل[١] .



(١) ولقد أشار الأستاذ العقاد فى عبقريتى الصديق وعمر وهو يتحدث عن مفتاح الشخصية إلى العالم الإيطالى " لومبروزو " ومدرسته التى تَأتَمُّ برأيه ، فقد قرروا بعد تكرار التجربة والمقارنة أن للعبقرية علامات لا تخطئها على صورة من الصور فى أحد من أهلها ، وهى علامات تتفق وتتناقض ولكنها فى جميع حالاتها وصورها نمط من اختلاف التركيب ومباينته للوتيرة العامة بين أصحاب التشابه والمساواة ؛ فيكون العبقرى طويلا بائن الطول ، أو قصيرا بين القصر ، ويعمل بيده اليسرى أو يعمل بكلتا اليدين ، ويلفت النظر بغزارة شعره أو بنزارة الشعر على غير المعهود فى سائر الناس . ويكثر بين العبقريين من كل طراز جَيَشَان الشعور ، وفرط الحِسّ ، وغرابة الاستجابة للطوارىء ، فيكون فيهم من تفرط سَورَتُه ، كما يكون فيهم من يُفرط هدوؤه .

وهم على الجملة ولع بعالَم الغيب وخفايا الأسرار على نحو يلحظ تارة فى الزّكانة والفِراسة ، وتارة فى النظر على البعد ، وتارة فى الحماسة الدينية ، أو فى الخشوع لله .

وتلك هى جملة الخصائص العبقرية التى أجملها العقاد من كلام " لومبروزو " .

المقالة الثّانية

في

بيان مقتضيات الأمور الكلية في
هذا الباب

- علامات الأمزجة الكاملة ·
- في مقتضيات الأسنان الأربعة
- وفي مقتضيات سائر الأحوال

الباب الأول فى علامات الأمزجة الكاملة

تمهيد :

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن :

إما أن يكون حاراً ، أو باردا ، فإن كان حاراً فإما أن تكون تلك الحرارة معتدلة أو زائدة ، فإن كانت الحرارة معتدلة أفادت الكمال ، وإن كانت زائدة ، أفادت الاختلال بحسب التبريد .

وأما إن كان باردا ، فإن كان البرد قليلا فإنه يوجب النقصان وإن كان كثيرا يوجب البطلان .

علامات الأمزجة :

وإذا عرفت هذه المقدمة فيجب علينا أن نذكر علامات الأمزجة حتى يتوسل بمعرفتها إلى معرفة الاعتدال والاختلال .

★ علامات المزاج الحار

أما علامات المزاج الحار فنقول :

أما من جهة الأفعال النفسانية : فإنه يكون ذكيا فطنا سريع الكلام ، سريع الحركة ومن ناحية الأفعال الحيوانية : فإنه يكون غضوبا شجاعا بطلا مقداما[1] ، قليل التهيب ، عظيم النفس والنبض جهير الصوت ومن القوة المصورة : أن يكون قوى الأعضاء ، واسع الصدر ، واسع العروق ومن القوة المتولدة : أن يكون كثير الباءة[2] ومن القوة النامية : أن يكون ربع النشوز . ومن القوة الغاذية : أن يكون حسن الهضم ، كثير اللحم ، قليل الشحم ، أحمر اللون : ومن القوة الدافعة : أن يكون كثير الشعر ،

---

(١) المقدام والمقدامة : الكثير الإقدام على العدو الجرىء فى الحرب .

(٢) الباءة : الباه والباهة : النكاح ، والجماع .

أسوده . ومن الانفعالات : أنه إذا لُمس وجد حارا ، وإذا تناول غذاء حاراً ، أو دواء حاراً لسخن سريعا ، وينتفع بالمبردات سريعا ، وأيضا تسقط قوته عند الحركات ، لأنها تزيد فى الحرارة ، والزيادة فى الحرارة توجب سقوط القوة .

★ علامات البدن البارد

علامات البدن البارد أضداد ما ذكرناه.أما من الأفعال النفسانية : فإنه يكون قليل الفهم ، بطىء الذهن ، ثقيل اللسان ، بطىء الحركة ، وأما من الأفعال الحيوانية : فأن يكون جبانا خائفا ، ضعيف النبض والنّفَس والصوت ومن القوة المصورة أن يكون ضعيف الأعضاء ، ضيق العروق . ومن القوة المولدة : أن يكون قليل الباءة ومن القوة النامية : أن يكون بطىء النمو . ومن القوة الغاذية : أن يكون ضعيف الهضم ، كثير الشحم ، قليل اللحم ، أبيض اللون ، أو كمده[١] إن كان البرد مُفرطا . ومن القوة الدافعة : أن يكون شعره قليلا سبطا[٢] ، ضاربا إلى الصفرة . وأما من الانفعالات : فالملمس البارد ، والتأثر من الأهوية ، والأدوية والأغذية الباردة .

★ علامات المزاج الرطب

أما من القوى النفسانية : فأن يكون بليدا ، نَوّاماً[٣] ، كدر الحواس[٤] تناله الرعشة عند الأفعال القوية ، والضعف بعد

(١) الكُمدَة : تغير اللون وذهاب الصفاء .
(٢) السَّبط : من الشعر المسترسل غير الجعد .
(٣) كثير النوم ميالا إليه .
(٤) الكدرة نقيض الصفاء . أما فى اللون فهو ميله إلى السواد .

الجماع ، وأما من القوى الحيوانية : فأن يكون قليل الجَلَد[1] والقوة ، خَواراً من[2] التعب والكد . وأما من القوة المصورة : فأن يكون رخو الأعصاب حفى[3] المفاصل ، دقيق الأوتار ، دقيق الجلد ، والبشرة . وأما من القوة الغاذية فأن يكون كثير الشحم ، رهل اللحم سريع الضمور . وأما من القوة الهاضمة : فأن يكون كثير السيلان للرطوبات كاللعاب ، والمخاط ، وانطلاق الطبيعة وسوء الهضم ، وتهيج الأجفان ، وأما من القوة الدافعة : فأن يكون أزعر الجلد[4] وأما من الانفعالات : فأن يكون لين الملمس ، وأن يعرض له الاسترخاء بعد شرب الماء البارد والثقل من الأشياء المرطبة .

★ علامات المزاج اليابس

علامات المزاج اليابس أضداد هذه . فأما القوى النفسانية فأن يكون صافي الحواس ، كثير السهر ، كثير الجلد ، صبورا على التعب ، وأما من الأفعال الحيوانية : فأن يكون حقوداً . وأما من القوة المصورة : فأن يكون ظاهر المفاصل والأوتار .
وأما من القوة المولدة فأن لا يكون كثير الباءة وأما من القوة الغاذية : فأن يكون خشنا قشفاً[5] . وأما من القوة الهاضمة : فأن يكون قليل الرطوبات . وأما من القوة الدافعة : فأن يكون الجفاف غالبا على طبيعته ويكون أكثر شَعراً من صاحب المزاج الرطب ، وأقل من

(١) الجلَد : الصبر على المكروه . وجَلُد جَلادة ، وجُلُودةً ، وجَلداً : قوى وصبر على المكروه .
(٢) خوَّاراً : شديد الضعف والانكسار .
(٣) الحفىّ : الرقيق اللطيف .
(٤) أزعر الجلد : يقال زعر المكان : كان قليل النبات متفرقه . وزعر الشعر قل وتفرق حتى يبدو الجلد وكأنه بلا شعر .
(٥) القشف : خشونة تصيب الجلد .

صاحب المزاج الحارّ وأما من الانفعالات : فأن يكون صلب الملمس ، وتسرع إليه النحافة واليبس من أثر الأشياء المجففة ، وينتفع بالمرطبات .

✶ علامات المزاج الحار اليابس

أما من الأفعال النفسانية : فالذكاء وجودة الذهن لكن قوة الحفظ تكون أقوى من قوة الفكر لأن الحفظ يكمل باليبس وأما الفكر وهو عبارة عن الانتقال من صورة إلى صورة أخرى وذلك لا يكمل إلا بالرطوبة . وأقول : إن الحواس تكون صافية ، والقوى المحركة بالإرادة فى غاية الكمال .

وأما من الأفعال الحيوانية فالشجاعة ، والبأس ، والإقدام ، والتهور الشديد مقرونا كل ذلك بالثبات ويكون النبض والنفس فى غاية القوة والسرعة .

وأما من القوة المصورة : فسعة الصدر وسعة العروق جدا وظهور المفاصل والأوتار .

وأما من القوة المولدة : فالشهوة مع قلة المنى .

وأما من القوة الغاذية : فالقضافة[1] .

وأما من القوة الهاضمة : فجودة الهضم للأغذية الغليظة ورداءة الهضم للأغذية اللطيفة .

وأما من القوة الدافعة : فقلة المستفرغ ويكون البدن أربى فى غاية القوة وشعر رأسه فى غاية سرعة النمو ويكون أسود كثيرا متكاثفا فى وقت النبات ، فإذا امتد به الزمان لحقه الصلع وأما اللون فالأدمةُ الشديدة وأما الانفعال : فحرارة الملمس مع الصلابة والانتفاع بالأشياء الباردة والرطبة ، والتأذى بالأشياء الحارة اليابسة .

---

(١) القضافة : الدقة والنحافة لاعن هزُال .

✶ علامات المزاج الحار الرطب

أما من الأفعال النفسانية : فجودة الذهن إلا أنه يَكُون الفكر أكمل من الحفظ ويكون قادرا على الفكر الكثير غير متأذ منه وأما الحواس فإنها لا تكون فى غاية الصفاء .

أما القوة المحركة بالإرادة فلا تكون فى نهاية القوة .

وأما من الأفعال الحيوانية : فيكون النبض والنفس عظيمين لكن لا يكون فيهما من السرعة والتواتر ما فى المزاج الحار اليابس وتكون الشجاعة واليأس والإقدام لا إلى غاية الكمال ، ولا يكون مقرونا بالثبات الدائم .

أما من القوة المصورة : فكبر الأعضاء وسعة الصدر ولكن لا تكون المفاصل والأوتار ظاهرة .

وأما من القوة المولدة : فالقدرة العظيمة على الباءة .

أما من القوة الغاذية : فالسمن اللحمى ، ويقل الشحم .

أما من القوة الهاضمة : فالهضم المتوسط وتسرع إليه الأمراض العَفوية[١] .

وأما من القوة الدافعة : فليستفرغ الكثير من العرق والمخاط والبول والبراز .

وأما الشعر فيكون متوسطا .

أما من الانفعال فالملمس الحار الرطب الانتفاع بالبارد اليابس والتأذى بالحار الرطب .

وأما اللون فالحمرة القوية .

---

(١) أى يكون معرضا للمرض وفى نسخة : أمراض العفونة .

✶ علامات المزاج البارد اليابس والبارد الرطب

فبالضد مما ذكرناه ؛ فلا فائدة فى التطويل ، وسمعت أن واحدا من المُعَبِّرين[1] دخل على بعض الملوك قال : إن سائر المعبرين إذا عرضت عليهم رؤياك أخبروك بتأويله[2] . وأما أنا فأخبرك بأنك فى هذه الليلة ماذا ترى؟ ثم أعبرها لك فى الغد فتعجب الملك! إيش[3] أرى فى هذه الليلة قال ترى كأنك فى دكان صباغ وتصبغ الثياب بالسواد والنيل ! فتعجب الملك منه[4] ، ثم لما نام الملك تلك الليلة ، رأى هذه الرؤيا بعينها وازداد تعجبه ! فدعا ذلك المُعَبِّر وقال : كيف عرفت ذلك ؟ قال فإن الطريق إليه سهل ؛ وذلك لأن جميع علامات المزاج البارد اليابس ، واستيلاء الخلط الأسود ، ظاهر فى حقك ؛ ومن كان كذلك كان حفظه قويا شديدا ، ثم إنى أخبرتك بأنك ترى فى منامك الاشتغال بعمل الصباغين ، وهذه الحرفة بالنسبة إليك عجيبة ! واستماع الكلام العجيب يوجب بقاءه فى الحفظ أيضا ، فاستيلاء الخلط الأسود على البدن ، يناسب أن يرى فى المنام الألوان المناسبة لهذا الخلط وذلك هو الزرقة والسواد ، فلما اجتمعت هذه الأمور فى حقك لا جرم كانت رؤيتها فى المنام والله أعلم .

---

(١) الذين يفسرون الأحلام . وعبَرَ الرؤيا عبرا وعبارة فسرها . وفى التنزيل ﴿ إن كنتم للرؤيا تَعْبُرون ﴾ (٢) تأويل الكلام : تفسيره أيضا .

(٣) كلمة منحوتة (مأخوذة) من : أى + شيء ؟ فصارت إيش وهى بمعناه . وقد تكلمت به العرب . فالكلمة عربية .

(٤) النيل : نبات يصبغ به أزرق .

الفصل الثانى

✶ فى علامات المزاج المعتدل

أما من الأفعال النفسانية : فكلما كانت القوى أكمل فيها ، أو اتم كانت أفضل . وأنا أظن أن الكمال فى جميع القوى الباطنة كالمتعذر ؛ وذلك لأن الرطوبة مُعِينة على سهولة الفكر ، ومانعة من قوة الحفظ واليبوسة بالضد ، وأيضا اليبوسة مانعة من صفاء الحواس ، فكيف يكون حصول الكمال فى كل هذه الأحوال ؟ إلا إن قلنا إن النفس فى هذه الأفعال قد تكون غنية عن الآلات الجسمانية ، فحينئذ يستقيم هذا .

وأما القوة المحركة : فكلما كانت أقوى كانت أفضل .

وأما التهور والجبن والغضب والجود والقسوة والرأفة والبطش والوقار فالفضيلة[1] فيها ليست إلا فى التوسط .

وأما القوة المصورة : فالمعتدل فيها المتوسط فى أفعالها .

وأما النامية : فالتوسط بين السمن المفرط والهزال المفرط .

وأما القوة الغاذية : فكلما كان التشبيه والإلصاق أكمل كان المزاج أدخل فى الاعتدال .

وأما الهضم : فالمعتدل أن يكون متوسطا بين الاحتراق والفجاجة[2]

وأما الدافعة : فأن تكون معتدلة الحالة فى بعض الفضول والمجارى المعتادة .

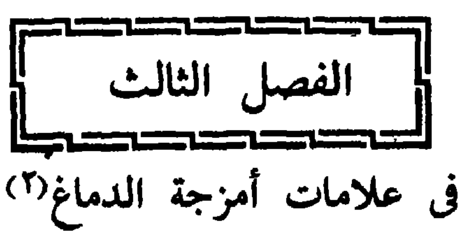
✶ علامات المزاج غير المعتدل

إنه الذى لا يناسب بعض أعضائه بعضا : إما فى المزاج ، أو فى التركيب . أما فى المزاج : فهو أن يخرج كل عضو من الأعضاء

(١) الفضيلة خلاف الرذيلة والنقيصة وهى « وسط بين حدين كما قال ارسطو».

(٢) عدم النضج.

الرئيسية إلى مزاج آخر . وأما الذى فى التركيب : فهو الرجل العظيم البطن القصير الأصابع المستدير الوجه القصير القامة . العظيم الهامة جدا ، أو الصغير الهامة جدا ، اللحيم[١] الوجه والعنق ، والرجلين وكأنما وجهه نصف دائرة وإن كان فكاه كبيرين فهو مختلف جدا ، وكذا إن كان مستدير الرأس والجبهة ، إلا أن وجهه يكون شديد الطول ، ورقبته شديدة الغلظ ، وفى عينيه بلادة فإنه يكون أبعد الناس عن الخير .



الفصل الثالث

فى علامات أمزجة الدماغ[٢]

وهى من وجوه :

الأول : ما يتعلق بالقوة المصورة : واعلم أن شكل الرأس المعتدل هو أن يكون له نتوء من قدام ونتوء من خلف وتطامن الجانبين[٣] .
أما النتوء من القدام : فليكون موضعا للبطن المقدم من الدماغ وينبت منه أعصاب الحس .
أما من الخلف : فلأجل أن ينبت منه النخاع وأعصاب الحركة .
والنتوء من خلف : أفضل لأجل دلالته على أن الأعصاب التى هناك أقوى وأصبر على الحركة . ثم قالوا : المربع . والمنبط[٤] مذموم .

---

(١) لحيم الوجه : كثير لحمه .
(٢) هو جامع الحواس الخمس الظاهرة ، والصفات السبع الباطنة .
(٣) التطامن : الانخفاض . وعبر عنه بعضهم بقوله : أن يكون مستدير الشكل كأنه كرة غمزت بأصبعين عند صدغيه إلى داخله
(٤) فإنه يدل على خبث النية والشبق .

والناقىء : الطرفين مذموم ، إلا إذا كان لقوة المصورة ويدل عليه شكل العنق ومقداره والصدر الناقىء مقدار الرأس قال « جالينوس » صغر الرأس لا يخلو ألبتةّ عن دلالة على رداءة هيئة الدماغ لأنها تكون ضعيفة القوى ، ثم إن كان مع ذلك ردىء الشكل كان فى غاية الرداءة وإن كان حسن الشكل كانت الرداءة أقل ، وإن كان لا ينفك عن نوع رداءة فلذلك قال أصحاب الفراسة : هذا الإنسان يكون لَجُوجاً[1] جباناً سريع الغضب متحيرا فى الأمور .

وأما كبر الرأس : فإما أن ينضم إليه حسن الشكل وغلظ العنق وسعة الصدر ، وقوة الصلب ، أولا يحصل معه مجموع هذه الأمور .
الأول : هو النهاية فى الجودة .
وأما إن اختل شىء من هذه الشرائط كان مختلا ثم هذا يقع على وجوه :

الأول : - أن يكون كبير الرأس ، ضعيف الرقبة ، صغير الصدر والصُّلب ، وذلك يدل على أن عظم الرأس ليس لقوة القوة المصورة بل لكثرة مواد فضلته ، ومتى كان كذلك كان الدماغ ضعيفا ، يسرع لصاحبه النزلات والصداع وأوجاع الآذان فإن من شأن الأعضاء الضعيفة توليد الفضل ، وذلك لعجزها عن إصلاح ما يصل إليها من الغذاء .

والثانى : - أن يكون صغير الرأس ، قوى الصدر والصلب ، والرقبة ، وهذا الإنسان يكون شجاعا ، قليل التأمل ، حار القلب صحيح الجسد .

---

(١) اللجوج واللجلاج : المختلط الذى ليس بمستقيم وثقيل اللسان المتردد فى كلامه . واللجوج : كثير اللجاجة ويقال فلان فى قلبه لجاجة أى خفقان من الجوع .

والثالث : - أن يكون صغير الرأس والرقبة والصدر والصلب وهذا الإنسان يكون ضعيفا فى كل الأمور .

★ النوع الثانى من دلائل الدماغ

ما يتعلق بأحوال فروعه وتوابعه وتلك الأعضاء هى : العين ، واللسان ، والوجه ، ومجارى اللهاة واللوزتين والرقبة والأعصاب .

دلالة العين :

أما العين : فتدل أحوالها على أحوال الدماغ من وجوه : -

الأول : - أن عظم عروقها يدل على سخونة الدماغ فى جوهره .

الثانى : - أن جفاف العين يدل على يبس الدماغ ، وسيلان الدمع بغير سبب ظاهر يدل فى الأمراض الحادة على اشتغال الدماغ وأورامها وخصوصا إذا سالت من إحدى العينين وإذا نعست الحدقة وغمض كنسج العنكبوت ، ثم تجمع فهو قرب الموت ، والعين التى تبقى مفتوحة الطرف كما يكون فى « فرانيطس »[1] وأحيانا ترتعش عند انحلال القوة مماً يدل على آفة عظيمة .

الثالث : - أن كثرة الطرف يدل على اشتغال ، وجنون .
واللازمة بنظرها موضعاً واحد يدل على « ماليخوليا »
وقد يستدل أيضا من كيفية حركات العين على أحوال الدماغ من غضب أو هم أو خوف أو غيرهما .

الرابع : - جحوظ العين فى الأمراض يدل على الأورام ، وامتلاء الأوعية الدماغية والغؤور يدل على التحلل الكثير من جوهر الدماغ ،

---

(١) وهو الخبل (جنون الخطر) كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

كما يعرض فى السهر والقُطرُب[1] والعسق[2] . وحصول الجحوظ والغؤور فى وقت الصحة يدل على ما يناسب من بعض الوجوه هذه الأحوال الموجبة .

دلالة اللسان

أما اللسان : فبياضه يدل على « ليثرغس » ، وصفرته أولا ثم اسوداده ثانيا على « فرانيطس » وغلبة الصفرة عليه مع اخضرار العروق التى تحته على الصرع .

واعلم أن دلالة العين أقوى من دلالة اللسان عليه ، لأن لون اللسان قد يكون بسبب المعدة .

دلالة الوجه :

وأما الدلائل المأخوذة من الوجه فنقول :

أما دلائل الألوان فسيأتى تفصيلها ثم نقول : سمن الوجه وحمرته تدل على غلبة الدم . وهزُاله مع الصفرة يدل على غلبة الصفراء .

وهزاله والكمودة[3] يدل على السوداء

والهيج[4] يدل على غلبة المائية .

---

(١) القطرُب : مرض من أمراض الدماغ لا يستقر صاحبه فى مضجعه . وهم يشبهونه بذبابة تحمل هذا الاسم ؛ لأنها لا تفتر عن الحركة وتضيء ليلا كأنها شعلة .

(٢) العسق : الظلمة كالغسق وفى نسخة : والعشق .

(٣) الكمودة : تغير اللون ، وذهاب الصفاء .

(٤) اليبوسة والاصفرار .

دلائل الرقبة :

وأما الدلائل المأخوذة من الرقبة : إن كانت قوية غليظة دلت على قوة الدماغ ، ووفوره ، وإن كانت قصيرة دقيقة فبالضد ، وإن كانت قابلة للأورام فليس السبب فى ذلك ضعف الرقبة بل السبب ضعف القوة الهاضمة التى فى الدماغ وقوة القوة الدافعة فيه .



الفصل الرابع

فى علامات أمزجة العين .

الأول : - أن حركتها إن كانت خفيفة دلت على حرارة أو يبوسة ، يدل على ذلك ملمسها ، وإن كانت ثقيلة دلت على برودة أو رطوبة .

الثانى : عروقها فإنها إن كانت غليظة واسعة دلت على حرارتها ، وإن كانت دقيقة خفية ، دلت على برودتها ، وإن كانت خالية دلت على يبوسها ، وإن كانت ممتلئة دلت على رطوبتها وكثرة الماء فيها .

الثالث : - كل لون فإنه يدل على الخلط الغالب المناسب أعنى الأحمر والأصفر والبصاص والكمد[1] .

الرابع : - أن حسن شكلها يدل على كمال القوة المصورة فى خلقه ، وسوء شكلها يدل على ضد ذلك .

الخامس : - أن عظمها وصغرها بحسب ما قلناه فى الرأس .

السادس : - أنها إن كانت تبصر الحقير من قريب ومن بعيد فهى قوية المزاج ، وإن ضعفت عن القريب والبعيد ففى مزاجها وخلقتها فساد ، وإن تمكنت من إدراك القريب وإن دق ، وقصرت عن إدراك البعيد فزوجها صاف قليل يدعى الأطباء أنه لا يفى الإبصار من بعيد بسبب دقته ، وإن كانت تدرك من البعيد ولا تدرك القريب الدقيق فزوجها كثير لكنه رطب لا يصفو إلا بالحركة المتباعدة .

السابع : - إن كانت صافية لا ترمص[2] فهى يابسة ، وإن كانت ترمص بإفراط فهى رطبة جدا .

---

(١) يقال : بص بصاً : لمع وتلألأ ، وبصت العين نظرت بتحديق فهى بصاصة . أما الكمودة فهى تغير اللون وذهاب الصفاء . وفى بعض النسخ الرصاص بدلاً من البصاص .

(٢) يقال : رمصت العين (بالصاد) رمصا اجتمع فى موقها وسخ أبيض . ويقال رمص فلان فهو أرمص وهى رمصاء .

الفصل الخامس

فى أحوال اللسان

أفضل الألسنة فى الاقتدار على الكلام : اللسان الذى يكون معتدلا فى طوله وعرضه ؛ لأنه إن كان زائد الطول لم يلتصق طرفه بمخارج الحروف بسبب طوله بل يبقى خارجا عنها . وإن كان ناقص الطول لم يصل بسبب قصره إلى تلك المخارج ، أما إذا كان معتدلا وصل طرفه إلى المخارج كما ينبغى. ، وأيضا يجب أن يكون مستطلقا[1] عند أسنانه حتى يكون سريع الحركة كثير التداور على جميع المخارج[2] ، فأما إن كان اللسان عظيما عريضا جدا أو صغيرا كالمتشنج لم يكن صاحبه قادرا على الكلام .



---

(١) أى منطلقا . يقال تطلق ، واستطلق ، وانطلق وكل ذلك بمعنى . ويقال : لسانه طُلُق ذُلق أى ذو حدة .

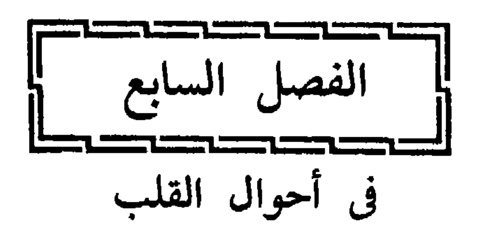
(٢) للسان وحدَهُ عشرة مخارج من بين سبعة عشر مخرجا موزعة عليها حروف الهجاء ، وتجد ذلك بتوسع فى كتب التجويد ، وفى علوم الصوتيات .

الفصل السادس

فى أحوال الصوت

اعلم أن الصوت العظيم الغليظ الثقيل : يدل على قوة الحرارة . فإن الحرارة توجب توسع قصبة الرئة ، وتوسعها يوجب عظم الصوت ، وأيضا الحرارة توجب عظم النفس وهو يوجب سعة الصدر ، وذلك يوجب الشجاعة بسبب أن الصوت العظيم الثقيل الغليظ يدل على الشجاعة ، وأما الصوت الصغير فذلك إنما يكون لضيق الحنجرة ، وذلك إنما يحصل عند البرودة ، وذلك من علامات الضعف .

وأما الصوت الصافى : فإنه يدل على اليبس والصوت الذى يكون معه فضول وكلما هم صاحبه به وُجدَت فضول معه فى مخرجه فذلك يدل على رطوبة الرئة .
وأما الصوت الأملس فقال بعضهم : إنه يدل على الاعتدال ؛ لأن ملاسة الصوت تابعة لملاسة قصبة الرئة ، وملاستها تابعة لاعتدال المزاج . وخشونة الصوت تابعة لخشونة القصبة ، وخشونة القصبة تابعة ليبسها ، وإنما تصير قصبة الرئة يابسة من قبل يبس الأعضاء البسيطة التى تركبت القصبة منها . ومن الناس من قال : الصوت الطيب يدل على الحماقة ؛ وذلك لأن الصوت الغليظ الثقيل العظيم لا يكون طيبا ، بل إنما يكون طيبا إذا كان حادا ، وحدة الصوت لا تحصل إلا مع ضيق قصبة الرئة ، والحنجرة ، وضيقها يتولد من بردها الغريزى ، وذلك يدل على استيلاء البرد على الرئة ، وعلى القلب ، ومتى كان كذلك لم تنضج رطوبات دماغه بحرارة قلبه ، وذلك يوجب قلة الفطنة ، وكثرة الحماقة .



الفصل السابع

فى أحوال القلب

أما علامات القلب الحار فهى على ثلاثة أقسام .

أحدها : الخواص المساوية لحرارة القلب نفيا وإثباتا .

وثانيها : – الأحوال التى قد توجبها أسباب أخرى سوى حرارة القلب وقد يتعذر الاستدلال بحصولها على حرارة القلب .

وثالثها الأحوال التى قد ينافيها أعضاء أخرى فحينئذ لا يمكن الاستدلال بحصولها على عدم حرارة القلب .

أما النوع الأول : – فهو عِظَمُ النبض ، والتنفس ، وسرعتهما ، وتواترهما ، والشجاعة ، والحرارة التى يكون معها تهور ، والغضب القوى .

وأما النوع الثانى : – فهو سعة الصدر ، وذلك لأن سعة الصدر قد تحصل بسبب حرارة القلب ، وقد يحصل بسبب آخر وهو أن يكون النخاع عظيما إذا كانت الفقرات الحاوية لها كبارا ، وإذا كانت الفقرات كبارا وجب أن تكون الأضلاع المركبة عليها كبارا ، وذلك يوجب أن يكون الصدر المؤلف من تلك الأضلاع الكبار واسعا فثبت أن سعة الصدر قد يكون لأجل كبر الدماغ ؛ فعلى هذا لايمكن الاستدلال بسعة الصدر على حرارة القلب . أما إذا حصلت سعة الصدر ، مع صغر الرأس ، فذلك من أعظم العلامات على حرارة القلب ، وإن حصل ضيق الصدر مع كبر الرأس ، فذلك من أعظم العلامات على برد القلب .

فأما إذا كانا كبيرين فهاهنا لا يمكن الحكم بل يجب الرجوع إلى سائر العلامات .

أما النوع الثالث : - فهو حرارة مَلمَس البدن ، وكثرة الشعر فى مقدم الصدر ، وما دون الشراسيف[1] ، وذلك لأن حرارة القلب توجب هذه الأشياء إلا أن حرارة القلب إنما توجبها إذا لم يكن الكبد باردة . أما إذا كانت باردة لم تكن حرارة القلب موجبة لهذه الأحوال وإذا كان كذلك ظهر أنه لا يمكن الاستدلال بعدم هذه الأشياء على عدم حرارة القلب ، فهذا القدر من شرح علامات أمزجة هذه الأعضاء كاف فى هذا الباب والله أعلم بالصواب .



(١) الشراسيف : جمع شرُسوُف . الطرف اللين من الضلع مما يلى البطن .

الباب الثانى

فى مقتضيات الأسنان الأربعة

أعنى ١ ـ سن النمو　　　　٢ ـ الوقوف
٣ - الكهولة　　　　٤ - الشيخوخة .

١ - سن النماء :[١]

اعلم أن سن النماء إن حصل فيه من الأمور البدنية كون الطبيعة زائدة فى الحرارة والرطوبة المعتدلة فيكون على طبيعة الربيع[٢] مثل طبيعة « أول السكر » حين يكون الإنسان شديد الاستعداد لحصول الفرَحَ ويحصل من الأمور النفسانية كون النفس خالية من العقائد الراسخة ، أو التجارب الكثيرة فى الخيرات والشرور ، ويتفرع

(١) المقصود بالنمو الزيادة فالإنسان ينمو إذا تحول من مرحلة العجز التام إلى مرحلة الاعتماد على النفس والاستقلال عن الغير ، فهو يصل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد أو النضوج ، والنمو عملية متكاملة فالطفل ينمو ككل من جميع نواحيه الجسمية والعقلية ، والوجدانية ، والاجتماعية ، ولا تستطيع أن تفصل بين ناحية وأخرى من هذه النواحى .

ويقسم علماء النفس مراحل النمو الى :

١ - مرحلة الطفولة :
أ - مرحلة المهد (السنتان الأوليان)
ب - مرحلة الطفولة المبكرة (٣ - ٥)
جـ - مرحلة الطفولة المتأخرة (٦ - ١٢)
٢ - مرحلة المراهقة
٣ - مرحلة النضج (اكتمال النمو)
٤ - مرحلة الشيخوخة (الاضمحلال)

ولكل مرحلة مظاهرها وخصائصها التى تناولتها كتب علم النفس ويهتم بها المربون والمعلمون .

(٢) الطبيعة : مزاج الإنسان المركب من

على هذه الحالة البدنية ، وهذه الحالة النفسانية أخلاق وأحوال :
فالأولى ـ أن الشهوات :
المقصورة على الأمور الطبيعية بالبدن تكون غالبة عليهم . ولا حاجة لهم فى المناكح والملابس والمشام .

الثانى أنهم يكونون سراع التقلب والتبدل ، يغلب عليهم الملال ، يشتهون بإفراط ويملون بإفراط ، وذلك لأن المزاج الحار الرطب يكون سريع القبول للتصورات ، سريع الترك لها ؛ لأن النفس الخالية عن التصورات تكون شديدة الرغبة فى تحصيل تلك التصورات ، فإذا قضى وطره من تحصيل واحد منها مالت إلى تحصيل الآخر .

الثالث : - أنه يغلب عليهم حب الكرامة ؛ فلهذا السبب يكون حبهم للنَّباهةِ[1] والعلو أشد من حبهم للمال بل ميلهم إلى المال ميل يسير فإنهم لم يقاسوا الحاجة ولا تكبدوا الفاقة .[2]

الرابع : - أن من طباعهم سرعة التصديق بكل ما يلقى إليهم، وذلك لما فيهم من المزاج الرطب الموجب للفرح ، ولما ذكرنا من قلة تجاربهم ، ولهذا السبب يرجون العيش بشىء قليل من الفرح التام ، ويكون الغالب رجاء الخيرات لا توقع الشرور والآفات .

الخامس : - أنه يغلب عليهم الحياء وذلك لأنهم لم يقعوا فى الفواحش الموجبة للوقاحة ، وبقوا على الفطرة ، وأيضا فإنهم لقلة علومهم وتجاربهم يستقصرون[3] أنفسهم فى أكثر الأمور .

السادس أنه يغلب عليهم الرحمة على الغير ، ويبعد عن طباعهم القسوة والغلظة والسبب فيه ماذكرناه .

= الأخلاط . . وهى أيضا القوة السارية فى الأجسام التى بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعى والطبائع الأربع عند الأقدمين : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة .

(١) النباهة : الشرف والشهرة .

(٢) الفاقة : الفقر .

(٣) يعدون أنفسهم مقصرين وهو ما نسميه « مركب النقص »

٢ - سن الوقوف

وأما سن الجدَالة[1] فلاشك أنه سن الكمال ، فيكون السخونة واليبوسة زائدة فيه وذلك يوجب أنواعا من الأخلاق .

الأول : - أنهم يحبون السرور ، ولما كان السرور لايتم إلا بالمصاحبة والمعاشرة لاجرم ، أنهم يحبون الأصدقاء والأصفياء لكن لا لتحصيل المنافع العقلية ، بل لتحصيل اللذة ، ولهذا السبب يكونون أيضا محبين للهزل والعبث .

والثانى : - أنهم يكونون مُفرطين فى حسن الظن بالنفس ويعتقدون فى أنفسهم الكمال فى كل شىء .

الثالث : - أنه يستدل على الغضب فيهم ، وذلك لأن الخوف والغضب لا يجتمعان ؛ فلهذا المعنى قد يركبون الظلم وإن عاد عليهم بالعيب والخزى ، ثم مع ذلك فإنه يغلب عليهم الرحمة إذا عرفوا من الإنسان كونه مظلوما ، وبالجملة فتوقع الرحمة منهم أتم من توقعها من الشيوخ .

٣ - وأما سن الشيخوخة : واعلم أن هذا السن سن استيلاء البرد واليبس على المزاج وسن كثرة التعقلات والتصورات وسن كثرة التجارب والوقائع ، وهذه الأحوال البدنية والنفسانية توجب أخلاقاً كثيرة ، وهى فى الحقيقة ضد الأخلاق الحاصلة فى سن النماء والنشو[2] .

الأول : قلما يذعنون لأحد ، وذلك لأن اليبس الغالب على مزاجهم يوجب بقاء الأحكام التى عقلوها وجزموا بها ، ويوجب المنع من حدوث الأحكام الجديدة ، وأيضا فلأن كثرة تجاربهم توجب كونهم

(١) جدَلَ الغلامُ وولد الظبية وغيرها جدولا : قوى وتبع أمه . وصلب عظمه وفى إحدى النسخ وأما سن الحداثة .

(٢) المقصود به : النشوء .

شاكيّن متوقفين فى أكثر ما يقال ، وذلك يوجب قلة الإذعان والانقياد .

الثانى أنهم لا يحكمون فى شىء من الأشياء بحكم جزم ألبتَّةَ وإن حكموا ، فإنهم يحكمون به على ماجربوه ، فكل شىء عندهم على حكم ما سلف ، أو لا حكم لهم أصلا فكأنهم على كثرة تجاربهم لم يجربوا شيئا ، وإذا حدثوا عن أمر فى المستقبل حدثوا عنه مُرتابين يَعقلون[1] ألفاظهم « بعلَّ وعَسىَ » وهذه الحالة يتبعها خلق وهو أنه ليس من عاداتهم الغلو فى ولاء ولا إضمار بغضاء بل تراهم فى محبتهم كالمبغضين ، وفى بغضهم كالمحبين .

الثالث أن رغبتهم فى تحصيل المال أشد من رغبتهم فى تحصيل الحمد والثناء ، وذلك لأن أكثر تجاربهم فى مشاهدة أذى الفقر يحملهم على الرغبة الشديدة فى المال .

الرابع : – أن أخلاقهم تكون سيئة ، وذلك أيضا لكثرة تجاربهم ، ولا ستحقارهم مَيزَهُم لأجل أنهم كلما شاهدوا شيئا فقد شاهدوا مثله مرارا وذلك يوجب قلة التعظيم .

الخامس : – أن الجُبن مستول عليهم ، والسبب أيضا ماذكرناه .

السادس : ـ أن علمهم بعواقب الأحوال أتم ، وذلك بسبب كثرة التجارب .

السابع : أنهم على خلاف الشبان فى الأمور المحركة ، بل هم إلى السكون أميل ، لبرد مزاجهم ؛ فلهذا السبب يجبنون ويخافون ولأجل الجبن ، والخوف يشد حرصهم على المال ، وتقلّ شهوتهم فى المناكح ، والمناظر ، وذلك لزوال حاجتهم عنها ، على أن شهوة الأكل أغلب الشهوات عليهم ، وذلك لأجل احتياج مزِاجهم البارد ، اليابس ، إلى ما يوجب تعديله ، ومن توابع هذا المزاج

(١) يقيدونها ولا يجزمون بالحكم فيها . وفى إحدى النسخ يعلقون .

كونهم محبين للعدل فى الأمور . وذلك بسبب جبنهم وضعفهم ، فإن الميل إلى العدل هو لحب السلامة وحب السلامة هو من فضيلة النفس وإما بسبب استيلاء الخوف والجبن على النفس ، والعلامة الفارقة بين القسمين : أن حب العدل إن كان حاصلا من أول العمر إلى آخره فهو من القسم الأول ، وإن كان إنما يحصل من سن الشيخوخة كان ذلك من القسم الثانى .

الثامن : - أن الوقاحة تكون غالبة عليهم ؛ وذلك لأنهم لا قبيح إلا وقد شاهدوه من أنفسهم ، أو من غيرهم مِرارا كثيرة ، وكثرة المشاهدة توجب قلة الواقع[1] .

التاسع : - أنه يقل أملهم للخيرات ؛ وذلك بسبب جبنهم وخوفهم من الفقر عن الإنفاق وذلك بسبب أنهم شاهدوا أن الغالب على أهل العالم الحرمان والاخفاق ، ولهذا السبب يكثر خوفهم وحزنهم ويقل فرحهم .

العاشر : أن غضبهم يكون حادا ضعيفا ، أما الحِدّة ؛ فلأن مزّاجهم شبه أمزجة المرضى ، فكما أن السقيم يكون سريع الغضب ، فكذا هاهنا وأما الضعف ، فلأن استيلاء الخوف والجبن عليهم يمنع من استكمال الغضب

الحادى عشر : أنا ذكرنا أن الشباب يكون مجاهرا بالظلم فنقول هاهنا : الشيخ لا يرغب فى المجاهرة بالظلم ، وذلك لاستيلاء البرد على مزاجه الموجب للجبن والخوف المانعين من إظهار الغضب ، إلا أن الظلم على سبيل الخفية ، والمكر ، والخديعة يكون صدوره عن الشيخ أكثر من صدوره عن الشباب .

الثانى عشر : - أنهم قد يرحمون غيرهم لكن بسبب مخالفٍ لرحمة الأحداث ، فإن الأحداث يرحمون الناس ، لمحبتهم للناس وتصديقهم لدعاوى المتظلم .

---

(١) أى أنهم يألفون القبيح ويصبح شيئا عاديا لألفتهم له وكثرة مشاهدتهم إياه ، كما قيل : إن كثرة الألفة تسقط الكلفة .

وأما المشايخ : فإنهم يرحمون الناس لضعف أنفسهم ، ولكونهم غير صابرين على تحمل المؤذيات ، ولأجل أنهم يخافون لوظلموا غيرهم ، فربما كان ذلك سببا لإقدام غيرهم على قهرهم ، ومنعهم .

٤ - سن الكهولة : -

وأما سن الكهولة ، وهم الذين يكونون فى أول الشخوخة ولم يتَخَطَّوا مقدارها إلى نهاية الشيخوخة فنقول : أخلاقهم متوسطة بين الشجاعة التهورية ، والجبن ، وأيضا تكون متوسطة بين التصديق بكل شيء ، والتكذيب بكل شيء ، وهمهم ممازجة النافع بالجميل ، والجد بالهزل ، فهم أعفاء مع الشجاعة ، ولهذا السبب قال الله تعالى فى صفة هذه السن :

﴿ ولَمَّا بلَغَ أشُدَّه واسْتَوَى آتيْناه حُكْماً وعلْماً ﴾ [القصص : ١٤]

ويُحكى أن ملوك الأعاجم ماكانوا يختارون للمحاربة مع الأعداء الأقوياء إلا أصحاب هذه السن ، وذلك لأن القوة العقلية متكاملة فى هذه السن والقوى الجسمانية غير متناقصة .



الباب الثالث

فى مقتضيات سائر الأحوال

يقول : أما أرباب النسب الشريف فإنهم راغبون جدا فى الكرامة ، ومتشبهون بأوائلهم ومن القضايا الغالبة على الأوهام أن كل ماهو أقدم ، فهو أكمل ، وأتم ؛ فلهذا السبب يكون - التّيه و - الترفع والاستطالة على الناس غالبا عليهم ، وحبهم لهذه الأحوال والتشبه بأسلافهم فى مكارم الأخلاق قد يدعوهم إلى العدل إلا أن هذه المعانى إنما ينبغى إذا كانت آثار أوائلهم باقية فيهم ، ثم إنهم يتعطلون عن تلك الآثار الفاضلة فى آخر الأمور ، ذلك لأنهم بسبب ذلك التِّيه والترفع لا يتحملون متاعب التعلم ، وطلب الأدب ، ولا يرغبون أيضا فى تعلم الحرف والصناعات النافعة فى إصلاح مهمات المعيشة ، فلهذا السبب يبقون فى الآخرة عاجزين محتاجين أما أخلاق الأغنياء فأمور :

الأول : - من عاداتهم التسلط على الناس ، والاستخفاف بهم ، ويعتقدون فى أنفسهم كونهم فائزين بكل الخيرات ، لأنهم لما ملكوا المال الذى هو سبب القدرة على تحصيل المرادات ، فكأنهم ملكوا كل الأشياء ولما اعتقدوا فى أنفسهم حصول هذا الكمال لهم - لا جَرَم[1] كانوا محبين للثناء الجميل راغبين فيه .

(١) لا جَرَم : لابد ولا محالة . أو حقا .

الثانى : – أنهم يحكمون على كل من سواهم كونهم حاسدين لهم لما اعتقدوا فى أنفسهم الكمال ، والكمال محسود لزم أن يعتقدوا فى أنفسهم كونهم محسودين ، ولهذا جاء فى أمثال العرب « كُلُّ ذى نعمة مَحسود » .

الثالث : – أن الذين كانوا أغنياء فى قديم الزمان فهم أكثر مثالة[1] من الذين صاروا أغنياء ولهذا قال أمير المؤمنين « على رضى الله عنه : « **عليكم ببطون شبعت ، ثم جاعت فإن آثار الكرم فيها باقية وإياكم . وبطوناً جاعت ، ثم شبعت ، فإن أمارة اللؤم باقية فيها** » والسبب فيه : أن بسبب الفقر المتقدم يشتد حرصهم على إمساك المال والشح به عند وجدانه فتعظم آثار اللؤم .

الرابع : – أن الأغنياء يكونون فى الأكثر مجاهرين بالظلم ، لاعتقادهم أن أموالهم تصونهم عن قدرة الغير على قهرهم ومنعهم .

الخامس : – أن المال سبب القوة فإن كانت النفس خَيِّرة فى أصل الجوهر ، صار المال سببا لمزيد من القوة فى الخيرات ، وإن كانت النفس شريرَة فى أصل الجوهر صارت كثرة المال سبباً لمزيد القوة فى الشرور . ولما كانت الشهوة والأخلاق الذميمة أغلب على الإناث منها على الذكور لاجرم . جعل الله نصيبهن فى الميراث أقلَّ من نصيب الذكور .

---

(١) فضلا .

وأما أصحاب السعادات[1] الاتفاقية وهم المجدودون[2] فمن أخلاقهم الاستمتاع باللذات ، وقلة المبالاة ويكونون محبين لله تعالى والعين[3] به مُعولين[4] على التوكل ، وذلك لأنهم اعتادوا الانتفاع بالجَدِّ[5] لا بالكد .

الباب الرابع

فى الأخلاق الحاصلة بسبب البلدان والمساكن

أما البلدان والمساكن الحارة فإنها موسعة للمسام ، وذلك يوجب ضعف الحرارة الغريزية وتحلل الروح ، وهما يوجبان كون قلوبهم خائفة ، وكون هضومهم ضعيفة .

وأما المساكن الباردة فإن أهلها أقوى ، وأشجع ، وأحسن هَضماً ؛ لأن استيلاء البرد على ظواهر أبدانهم يوجب احتقان الحرارة الغريزية فى بواطنهم .

وأما المساكن اللاحامية فأهلها حسنو المسحات[6] لِيُنُو الجلود يسرع إليهم الاسترخاء ، فى رياضتهم ، ولا يسخن صيفهم شديدا ، ولا يبرد شتاؤهم شديدا .

---

(1) هم الذين ولدوا « فى فمهم ملعقة من ذهب » وهم الذين نالوها بالجد (الحظ) لا بالكد .

(2) الجَدّ : الرزق والمكانة والمنزلة عند الناس وهم مجدودن : أى محظوظون

(3) يقال ولع به : علق به شديدا .

(4) عَوَّل على الشيء : اعتمد عليه . (5) الجد : الحظ

(6) جمع مَسحَة : يقال عليه ، أو به مسَحة من جمال أو هزال : شيء منه ويقال : منَّ الله عليك بالمسحة ، وأذاقك حلاوة الصحة . وفى نسخة : السحنات

وأما **المساكن اليابسة** فإن أهلها يكونون يابسين فى أمزجتهم ، وأدمغتهم ويكون صيفهم حارا وشتاؤهم باردا .

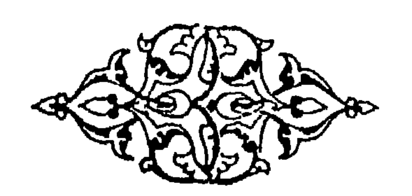
وأما **المساكن الحجرية** فإن الهواء يكون حاراً جداً فى الصيف باردا فى الشتاء ، وتكون أبدان أهلها صلبة وهم سيئو الأخلاق متكبرون مستبدون أولو نجدة فى الحروب .

وأما **المساكن الشمالية** فإنها فى أحكام المساكن الباردة لأجل استيلاء البرد على ظواهر أبدانهم مما يقوى الحرارة الغريزية فى بواطنهم ، وذلك يوجب قوة الشجاعة وحصول الأخلاق السَّبُعية .

وأما **المساكن الجنوبية** فأحكامها أحكام البلاد الحارة وتكون رؤوس أهلها ممتلئة من المواد الرطبة ، لأن الجنوب يفعل ذلك ، ويكونون ضعاف الأعصاب ناقصى القوى الحسية والحركية .

وأما **المساكن المشرقية** فأهلها فاضلون فى أكثر الأحوال البدنية .

وأما **المساكن المغربية** فبالضد من ذلك .



المقالة الثّالثة

دلالة الأعضاء الجزئية

- الجبهة
- الحاجبان
- العينان
- الشفتان
- الأسنان
- الذقن
- الأذنان

✶ فى دلائل الأعضاء الجزئية

اعلم أن دلالة الرأس على الأحوال النفسانية أتم من دلالة سائر الأعضاء عليها ويدل على ذلك وجوه :

الأول : - أن الإنسان إنما كان إنسانا لأجل الفهم ، والعقل ، والذكر ، والحفظ ، ومحل هذه الأحوال هو الدماغ فإن الرأس صومعة الحواس ، ومعدن الحفظ والفكر والذكر ، وذلك يدل على أن الرأس أكمل الأعضاء فى ظهور الآثار النفسانية فكانت دلالة أحوال الرأس على الآثار النفسانية أكمل .

الثانى : أن الكمال حال الجسد إنما يكون بسبب الحسن ، ونقصان حاله إنما يكون بالقبح ، ومحل « الحسن والقبح » ليس إلا الوجه ، وأما سائر الأعضاء فلا يلتفت الى مافيها من « الحسن والقبح » فى مقابلة الوجه .

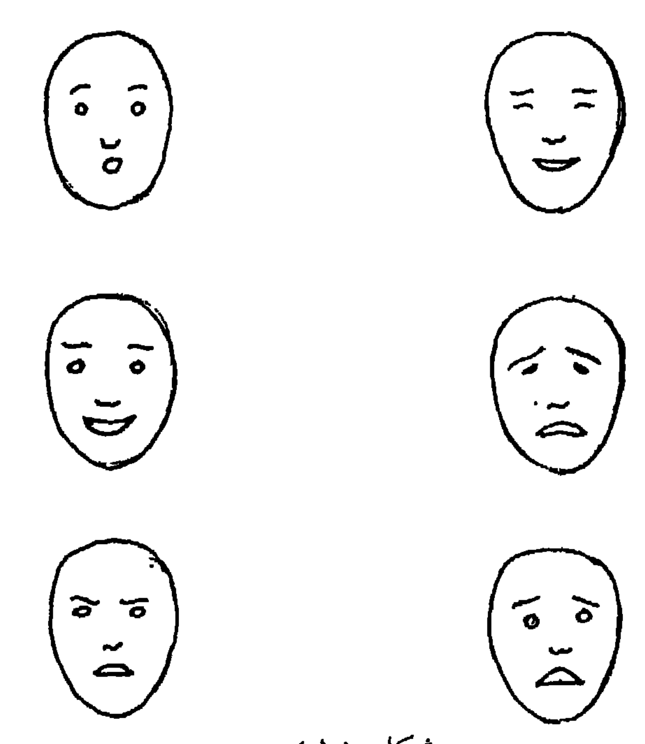
الثالث : أن الأحوال الظاهرة فى الوجه قويةٌ الدلالة على الأخلاق الباطنة ، فإن للخجالة لونا مخصوصا فى الوجه ، وللخوف لونا آخر ، وللغضب لونا ثالثا ، وللفرح لونا رابعا ، وهذه الألوان متى حصلت فى الوجه[1] فإنه يقوى دلالتها على الأخلاق الباطنة

---

(١) ويقول علماء النفس : إن الانفعال هو : حالة نفسية وجدانية يصحبها اضطراب نفسانى وجسمانى ، ويصحب الانفعال تغيير فى مظاهر الجسم الباطنية والظاهرة .

والخلاصة : أن الانفعالات المختلفة مثل الفرح والحزن والغضب ، والدهشة ، والإعجاب ، والضحك ، والقلق . . . الخ يصحبها تغيير فى جميع أجهزة الجسم .

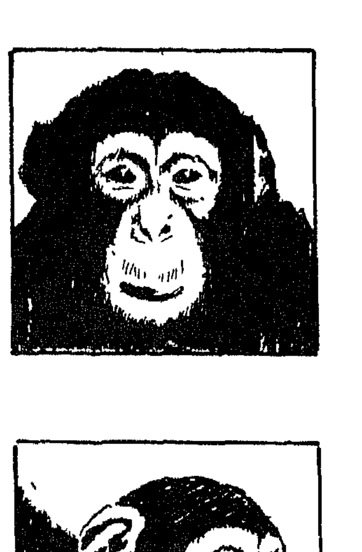
والأحوال النفسانية فثبت أن دلالة الأحوال الموجودة فى الوجه أتم من دلالة الأحوال الظاهرة الموجودة فى سائر الأعضاء . ثم نقول : الأعضاء الموجودة هى : الجبهة والحاجبان ، والعينان ، والشفتان . والأسنان ، والذقن ، والأذنان فلنتكلم فى أحكام هذه الأعضاء ، ثم نتبعها بغيرها من الأعضاء .



شكل (١)

ملامح الوجه عند بعض الانفعالات كما يراها العالم " فرابا "

= ومن الإطالة أن نذكر جميع الانفعالات بالتفصيل . ويستطيع القارىء أن يلاحظها بنفسه . ومن الطريف أن نذكر أن ملامح الحيوانات تتغير فى أثناء الانفعال يتجلى ذلك واضحا عند القرود . وقد أورد العالم « فرابا Frappa رسما كروكيا للملامح التى تصحب بعض الانفعالات .








(شكل ٢) أثر الانفعال على الحيوان

الفصل الأول

فى دلائل الجبهة

(ا) من كان مُقطبا لجبهته ، مائلا إلى البسط فهو غضوب لأن جبهة الرجل الغضبان هكذا يكون .

(ب) من كانت جبهته صغيرة فهو جاهل ، لأن هذه الحالة تدل على أن البطن المقدم من الدماغ صغير بالقياس إلى القدر الذى لابد منه ، وذلك يوجب دخول الآفة فى الأفعال الدماغية التى هى الحفظ والفكر .

(ج) من كانت جبهته عظيمة فهو كسلان ، وغضوب ؛ لأن عظم الجبهة يحتمل أن يكون لكثرة المادة ، وحينئذ يكون كسلان ، ويحتمل أن يكون لقوة الحرارة الغريزية الدماغية التى مقتضاها توسيع المنافذ ، وحينئذ يكون غضوبا .

(د) من كانت جبهته كثيرة العضوية فهو صلَف[1] .

(هـ) من كانت جبهته منبسطة لا غضون بها فهو مشاغب .

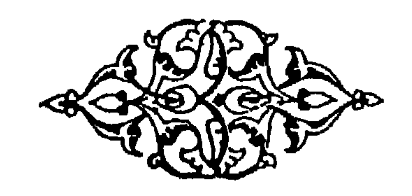
(١) الصَّلف : هو من يتمدح بماليس فيه ، أو عنده ، ويدعى فوق ذلك إعجابا وكبرا .

الفصل الثانى

فى دلائل الحاجب

(ا) الحاجب الكثير الشعر يكون صاحبه كثير الهم والحزن ، غث الكلام ، وذلك لأن تَكَوُّن الشعر إنما يكون منَ « المادة الدخانية » فكثرة شعر الحاجب ، يدل على كثرة « المادة الدخانية » التى فى الدماغ فتدل على استيلاء طبيعة السوداء على الدماغ وذلك يوجب الهم والحزن .

(ب) إن كان حاجبه يميل من ناحية الأنف إلى أسفل ومن ناحية الصدغ إلى فوق فإنه صَلِف أبله .



الفصل الثالث

فى دلائل العين

اعلم أن أحوال العين المعتبرة من وجوه :
فإنه إما أن يكون المعتبر مقدارها وهو عظمها أو صغرها .
وإما أن يكون المعتبر وضعها وهو كونها جاحظة[1] أو غائرة أو يكون المعتبر لونها وهو سوادها وسائر ألوانها .
أو يكون المعتبر أحوال الجفن وهو كونها غليظة ، أو رقيقة أو مسترخية أو منقلبة ، أو كثيرة الطرف أو قليلة الطرف .
وإما أن يكون المعتبر كثرة حركات الحدقة وقلتها .
أو يكون المعتبر مشابهة العين لسائر الأشياء .
أو يكون المعتبر ما يتركب عن هذه الأحوال فهذه عشرة أنواع من الدلائل :

الدلائل المأخوذة من مقدار العين

النوع الأول : الدلائل المأخوذة من مقدار العين فنقول : من عظمت عينه فهو كسلان ؛ وهذه الدلالة مأخوذة من مشابهة أعين الثيران ، وأيضا فعظِمُ العين يدل على كثرة المادة الرطبة الدماغية وهى توجب البلادة .

الدلائل المأخوذة من وضع العين

النوع الثانى : الدلائل المأخوذة من وضع العين : (ا) من كان عيناه جاحظتين ـ فهو جاهل مهذار[2] وهذه الدلالة مأخوذة من مشابهة الحمار .

---

(١) ناتئة بارزة وصاحبها جاحظ .

(٢) المهذار : من يكثر فى كلامه من الخطأ والباطل يقال : « المكثار مهذار » وجمعه مهاذير .

(ب) من كانت عيناه غائرتين[1] فهو خبيث وهذه الدلالة مأخوذة من القرد . ولما ثبت أن الغؤور ، والجحوظ مذموم ثبت أن الأفضل هو الحالة المتوسطة المعتدلة .
(ح) من كان عيناه غائرتين قليلا فنفسه نبيلة هذه الدلالة مأخوذة من الأسد .

الدلائل المأخوذة من لون العين

النوع الثالث :
(١) من كانت حدقته شديدة السواد فهو جبان ، وذلك لأن اللون الأسود يدل على الجبن : (ب) إذا كانت العين حمراء مثل الجمر فصاحبها غضَوُب مقدام ؛ لأن عين الإنسان عند الغضب تصير بهذه الصفة (ح) من كان لون عينيه أزرق ، أو أبيض ، فهو جبان ، لأن اللون الأبيض يدل على استيلاء البلغم . (د) من كانت عيناه بلون الشراب الصافى ، فهو جاهل وهذه الدلالة مأخوذة من الغنمه . ومن كانت عيناه بارزتين فهو وقح وهذه الدلالة مأخوذة من الكلاب . ومن كانت عيناه موصوفتين بالصفرة والاضطراب فهو جبان . وهذه الدلالة مأخوذة من عين الإنسان فى وقت استيلاء الجبن عليه . (هـ) من كانت عينه زرقاء تلك التى تكون فى زرقتها صفرة كأنها صبغت بالزعفران[2] ، فإنها تدل على رداءة الأخلاق ، وذلك لأن الزرقة تدل على البلادة والكسل ، والصفرة تدل على الجبن والخوف ، ولاشك أن عند اجتماعهما يحصل أحوال مشوشة .
(و) النقط الكثيرة فى العين حول الحدقة تدل على أن صاحبها شرير ؛ فإن كانت هذه الحالة فى عين زرقاء كان الشر أكثر (ز) الحدقة التى حولها مثل الطوق تدل على أن صاحبها مهذار شرير .
(ح) إذا كانت الحدقة سوداء فيها صفرة مذهبة فصاحبها قتال سفاك

(١) الغاران العظمان اللذان فيهما العينان وغارت تغور غورا وغؤورا عينه دخلت فى الرأس وانخسفت .
(٢) الزعفران نبات أصفر الزهر له أصل كالبصل .

للدماء ، أما العين الزرقاء التى تبرق ، والخضراء كالفيروزج[١] فأصحابها أردياء[٢] فإن كان فيها نقط حمر مثل الدم أو بيض فإن صاحبها أشر الناس وأخبثهم . (ط) صاحب العين الزرقاء الشديدة الخضرة خائن شرير (ى) ومن كانت العينان منه نيِّرتين براقتين . فهو شبق[٣] . وهذه الدلالة مأخوذة من الديوك والغربان .

أفضل ألوان العين : الشهلة[٤] ؛ لأنها لون متوسط بين السواد وبين الزرقة والخضرة ولما كانت هذه الألوان بأسرها مذمومة كانت الشهلة التى هى اللون المتوسط بين تلك الألوان المذمومة محمودة وأيضا فعين الأسد وعين العقاب موصوفة بهذا اللون مع أن الأسد ملك السباع والعُقَابُ[٥] ملك الطيور .

النوع الرابع

الدلائل المأخوذه من الجفن فى الغلظ والرقة

(ا) إذا كان الجفن فى العين منكسراً أو ملتوياً فصاحبه مكار كذاب أحمق (ب) العرب يصفون الطَّرف بالمرض[٦] وذلك مما يعد من موجبات مزية الحسن فى حق النساء .

---

(١) الفيروز والفيروزج : حجر كريم (٢) جمع ردىء .

(٣) الشبق : شدة الغُلمة والرغبة فى الجماع .

(٤) الشهلة : الشهل وهو أن يشوب إنسان العين حُمرة . (المعجم الوسيط)
وجاء فى المنجد : الشهلة أن يشوب سواد العين زرقة . وهو المناسب لما نحن فيه .

(٥) العقاب : طائر من كواسر الطير ، قوى المخالب ، مسرول ، له منقار قصير أعقف ، حاد البصر ، وفى المثل « أبصر من عُقاب » [لفظه مؤنث للذكر والأنثى] .

(٦) ويقولون : عين مريضة . أى فيها فتور ..

وأقول : إنه يدل على نوع من الخنوثة ويدل على مشابهة النساء ذوات الغنج[1] والدلال .

النوع الخامس :

من الدلائل المأخوذة من كثرة الطرف وقلته

(أ) من كان عيناه تتحركان بسرعة وحِدّة ، وكان حادّ النظر فهو مكار ، محتال ، لص وهذه الدلالة مأخوذة من أن الخائن حال إقدامه على الخباثة تصير عيناه بهذه الصفة (ب) من كانت حركة عينيه بطيئة كأنها جامدة فهو صاحب فكر ، ومكر ، وهذه الدلالة مأخوذة من أن الانسان إذا توغل فى الفكر بقى مفتوح العين . (ح) صاحب العين الكثيرة الرعدة[2] شرير إن كانت العين صغيرة ، وإن كانت عظيمة نقص من الشر وزاد فى الحمق (د) العين الدائمة الطرف تدل على الجنون والجبن .

النوع السادس :

من الدلائل المأخوذة من كون العين مشابهة لسائر الأشياء

(أ) من كانت عينه تشبه عيون العنز فى لونها فهو جاهل وهذه الدلائل مأخوذة من مشابهة هذا الحيوان .

(ب) من كان نظره مشابها لنظر النسوان فهو شَبِق .

(جـ) من كان نظره شبيها بنظر الصبيان ، وكان فيها وفى جملة الوجه ضحك ، وفرح فإنه طويل العمر . فإن هذه الهيئة تدل على اعتدال المزاج وكثرة الفرح وقوة الروح .

(د) الأعين الشبيهة بأعين البقر تدل على الحماقة .

(١) الغنج : الدلال وملاحة العينين . وغنجت المرأة : تدللت على زوجها بملاحة كأنها تخالفه ، وليس بها خلاف .

(٢) المرتجفة فالعين المضطربة بأى لون كانت دالة على الشر .

النوع السابع : الدلائل المأخوذة بحسب التركيبات

(١) إذا كانت العين صغيرة زرقاء ، فصاحبها قليل الحياء محتال محب للنساء .

(ب) إذا كانت العين مرتعدة فصاحبها كسلان . « بطال »[١] محب للنساء .

(ح) العين المنقلبة إلى فوق شبيهة بأعين البقر إذا كانت مع ذلك حمراء غليظة كان صاحبها جاهلا ردياً متكبراً .

(د) إذا كانت العين صغيرة خفيفة الحركة كثيرة الطرف ، فصاحبها ردىء جداً



(١) العامة يطلقون هذه الكلمة على الخالى من العمل وقبيح السيرة ، ولهذا التعبير أصل فى اللغة تقول : بطل الأجير يبطل بطالة أى تعطل : فهو بطال أو تريد بها قبح السيرة .

وصدق القائل :

إن العيون وجوه القلوب وأبوابها التى تبدو منها أحوال النفس وأسرارها وحديثها وقديما قال شاعرنا العربى :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها ∴ إشارة محزون ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا ∴ وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

الفصل الرابع

فى دلائل الانف

(١) من كان طرف الأنف منه دقيقاً فهو محب للخصومة ، طياش[١] ، خفيف. هذا الدليل مأجوذ من الكلب .

(ب) من كان أنفه غليظاً ممتلئاً فهو قليل الفهم ، هذا الدليل مأخوذ من الثيران .

(ح) من كان أفطس[٢] فهو شبق[٣] . هذا الدليل مأخوذ من الإبل .

(د) من كان أنفه شديد الانتفاخ ، فهو غضوب.هذا الدليل مأخوذ من مشابهة أنف الغضبان .

(هـ) من كان أعلى الأنف منه غليظًا فهو قليل الحس.هذا الدليل مأخوذ من الخنازير .

(و) من كان أنفه يبتدىء من الجبهة متقوساً فهو وقح،وهذا الدليل مأخوذ من الغراب .

(ز) من كان أنفه متقوساً فنفسه نبيلة،وهذا الدليل مأخوذ من العقاب .

(ح) من كان أنفه عميقاً . وكان من ناحية الجبهة مستديراً وكان مع استدارته مائلا إلى فوق فهو شبق.هذا الدليل مأخوذ من الديك .

---

(١) الطياش : المتردد لايقصد وجها .

(٢) الأفطس : من انخفضت قصبة أنفه

(٣) شبق : شديد الشهوة للأنثى

الفصل الخامس

فى دلائل الفم والشفة واللسان

(ا) من كان واسع الفم فهو نهم[1] ، لأن توسع المجارى ليس إلا من الحرارة لأنه يشبه الأسد .

(ب) من كان غليظ الشفة فهو أحمق ، غليظ الطبع ، لاسيما إذا كانت متدلية

(ج) من كان قليل صبغ الشفة فهو ممراض[2] .

(د) من كان شفتاه دقيقتين مستَرخِيتَين فى الموضع الذى يلتقيان فيه حتى يكون شىء من الشفة العليا ساقطاً على الشفة السفلى فنفسه نبيلة هذا الدليل مأخوذ من الأسد .

(هـ) من كانت شفته رقيقة فى موضع أنيابه بحيث يظهر منه الأنياب كان حسن القوة ، وهذا الدليل مأخوذ من الخنازير .

(و) من كانت شفته غليظة ، وكانت العليا منها معلقة على السفلى فهو جاهل وهذا الدليل مأخوذ من الحمير والقرود .

(ز) من كان ضعيف الأسنان رقيقها متفرقها فهو ضعيف البنية .

(ح) من كان طويل الأنياب قويها فهو نهم شرير .

---

(۱) مُفرطٌ فى شهوته ورغبته ، ومن أجل هذا يقال : هو نهم فى الطعام ، ونهم فى العلم .

(۲) صبغ : لون . ممراض : كثير المرض .

الفصل السادس

فى دلائل الوجه

(١) إذا كان وجه الإنسان شبيهاً بوجه الغضبان فهو غضوب وقس عليه .

(ب) من كان لحيم[١] الوجه فهو كسلان جاهل . هذا الدليل مأخوذ من الثيران ، وأيضا فكثرة اللحم فى الوجه تدل على أن العروق الدماغية مملوءة من الأخلاط الغليظة ، وكثرة الأخلاط يوجب قلة الأزواج الحاملة لقوى الحس والحركة .

(ح) من كان كثير لحم الخدين . فهو غليظ الطبع ، وهذا الدليل مأخوذ من الإبل والحمير .

(د) من كان نحيف الوجه فهو مهتم بالأمور ، لأن كثرة الأفكار توجب اليبوسة الموجبة للقضافة[٢] .

(هـ) من كان شديد استدارة الوجه فهو جاهل ، ونفسه حقيرة هذا الدليل مأخوذ من القرود .

(و) من كان وجهه عظيماً ، فهو كسلان ، هذا الدليل مأخوذ من الثيران[٣] . والحمير .

(ز) من كان وجهه صغيرا فهو ردىء خبيث ، ملق[٤] وهو مأخوذ من القرد ولما ثبت أن الصغر والكبر مذمومان ظهر أن الأفضل هو التوسط .

---

(١) كثير لحمه .

(٢) قضف قضافة : دَقّ نَحُفَ لاعن هُزال ،

(٣) جمع ثور ،

(٤) ملق : يتودد إلى الناس بكلام لطيف ، وتضرع فوق ما ينبغى .

(ح) قبيح الوجه : لايكون حسن الخلق الإ نادراً لأن المزاج الموجب للخلق الظاهر وللخلق الباطن واحد ، فإن كان ذلك المزاج فاضلاً ظهر أثر الكمال فى الظاهر والباطن معا ، وإن كان ناقصاً فكذلك ولهذا قال عليه السلام :

« **اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه**[1] »

(ط) من كان طويل الوجه فهو وقح ، وهذا الدليل مأخوذ من الكلب .

(ى) من كانت أصداغه منتفخة وأوداجه[2] ممتلئة فهو غضوب وهذا الدليل مأخوذ من الإنسان فى وقت الغضب .

---

(١) جاء فى فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوى تحت رقم ١١٠٧ اطلبوا الخير عند حسان الوجوه (تخ) وابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج (ع طب) عن عائشة (طب هب) عن ابن عباس (عد) عن ابن عمر ، ابن عساكر عن أنس (طس) عن جابر ، تمام (خط) فى رواية مالك عن أبى هريرة ، تمام عن أبى بكرة (ح)

وفى رواية للخطيب : « صباح الوجوه » أى الطلقة المستبشرة وجوههم ؛ فإن الوجه الجميل مظنة لفعل الجميل وبين الخلق والخُلق تناسب قريب غالبا ؛ فإنه قلّ أن نجد صورة حسنة يتبعها نفس رديئة ، وطلاقة الوجه عنوان مافى النفس وليس فى الأرض من قبيح إلا ووجهه أحسن مافيه وأنشد بعضهم :

دلّ على معروفه حُسنُ وجهه　　　بورك هذا هادياً من دليل

وأنشد بعضهم :

سيدى أنت أحسن الناس وجها　　　كن شفيعى فى هول يوم كريه

قدروى صحبُك الكرام حديثاً　　　اطلبوا الخير من حسان الوجوه

قال الحافظ العراقى : وطرقه كلها ضعيفة .

(٢) الأوداج جمع ودج وهو عرق فى العنق ومثله الوداج وهو الذى يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة .

الفصل السابع

فى دلائل الضحك

(ا) من كان كثير الضحك فهو دمث[1] متساهل قليل العناية بالأمور .

(ب) من كان قليل الضحك فهو مُعَادٍ مخالف ، لا يرضى بأعمال الناس .

(ح) من كان عالى الضحك فهو وقح سلّيط[2] .

(د) من كان عند الضحك[3] تبع عليه السعال والربو فإنه وقح سليط صخاب[4] .



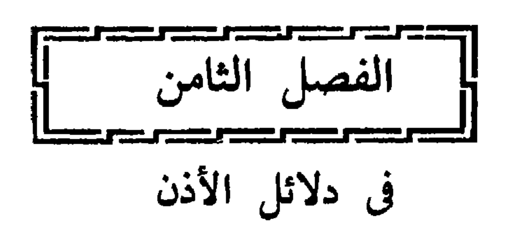
---

(١) دَمِث . يقال : دَمُث الرجل دمَاثَة سهل خلُقه .

(٢) طويل اللسان يتطاول على الناس ويجرحهم .

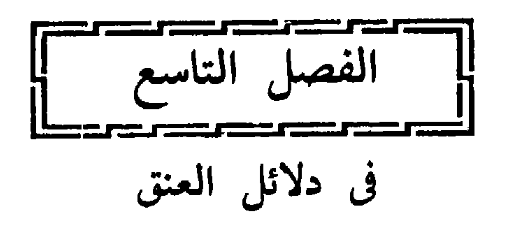
(٣) هكذا فى الأصل إلا أن تبع لا تتعدى بعلى . والمراد بها سار فى أثره أو تلاه . ولعلها : نبَعَ أى ظهر وبدا بعد أن كان مختفيا . ويقال نبع العرق من البدن : نضح ورشح . وفى مخطوطة أخرى يقع ولعلها أصح .

(٤) صخاب كثير الصخب والمراد به : علو الصوت واختلاطه .



فى دلائل الأذن

من عظمت آذانه[١] فهو جاهل طويل العمر ، أما الجهل فلمشابهة الحمار ، وأما طول العمر فلأجل استيلاء اليبس على المزاج .



فى دلائل العنق

(أ) من كان عنقه غليظاً فهو قوى بطاش ، هذا الدليل مأخوذ من الذكر .

(ب) من كان عنقه دقيقاً فنفسه ضعيفة ، هذا الدليل مأخوذ من الأنثى .

(ح) من كان عنقه غليظاً ممتلئاً فهو غضوب هذا الدليل مأخوذ من حال الغضبان .

(د) من كان عنقه معتدلاً فى العظم ليس بالكثير الغليظ فنفسه نبيلة . هذا الدليل مأخوذ من الأسد .

(هـ) من كان عنقه دقيقاً طويلاً فهو جبان . هذا الدليل مأخوذ من الإبل .

(و) من كان عنقه قصيراً جداً فهو ذو مكر . هذا الدليل مأخوذ من الذئب .

---

(١) الآذان (بالمد) جمع أذن ، وهناك من يخلطون بين هذه الكلمة وبين « الأذان للصلاة » فالثانية بغير مد وهى أيضا مصدر للفعل أذّن .

الفصل العاشر

فى دلائل الصوت والنفس والكلام

(١) من كان صوته غليظاً جهيراً فهو شجاع مكار .
(ب) من كان كلامه سريعا فهو عَجُول قليل الفهم .
(ج) من كان كلامه عاليا سريعا فهو غضوب سيىء الخلق .
(د) من كان كلامه منخفضاً فبالضد .
(هـ) من كان نفسه طويلاً فهو ردىء الهمة .
(و)من كان صوته ثقيلا فهو رحيب البطن .
(ز) ومن كان صوته غثا[1] فإنه حسود مُضمر للشر .
(ح) ومن كان حسن الصوت فهو دليل الحمق وقلة الفطنة .
(ط) ومن كان نَفَسه غليظا فهو عسر النطق .

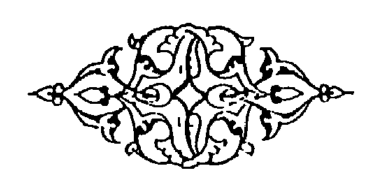
---

(١) الغَثّ : الردىء الفاسد من كل شيء

الفصل الحادى عشر

فى دلائل السحنات

(ا) اللحم الكثير الصلب يدل على غلظ الحس والفهم .
(ب) اللحم اللين يدل على جودة الفهم والطبع .
(ح) من كان بدنه ضامرا قوى العظام فهو محب للصيد . هذا الدليل مأخوذ من الأسد والكلب.
(د) من كانت المواضع التى تلى البطن منه ضامرة[1] فهو قوى . هذا الدليل مأخوذ من الذكر .
(هـ) ومن لم تكن المواضع منه ضامرة فهو ضعيف هذا الدليل مأخوذ من الأنثى.



---

(١) الضامر : القليل اللحم الرقيق . يقال : جمل ضامر ، وناقة ضامر وضامرة . وفى التنزيل العزيز ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ﴾

الفصل الثانى عشر

فى دلائل الصُلب

(١) من كان الصلب منه معتدلا فى عظمه فهو قوى النفس . هذا الدليل مأخوذ من الذكر .

(ب) ومن كان الصُلب[1] منه دقيقاً ضعيفاً فهو ضعيف النفس . هذا الدليل مأخوذ من الأنثى .

(ح) من كانت أضلاعه معتدلة فنفسه قوية . هذا الدليل مأخوذ من الذكر .

(د) ومن لم يكن أضلاعه قوية فهو ضعيف النفس . هذا الدليل مأخوذ من الأنثى .

(هـ) من كان جنباه ممتلئين كأنهما منتفخان فكلامه كثير غث هذا الدليل مأخوذ من الثيران والضفادع .

(و) ومن كانت المواضع التى منه من السرة إلى طرف القَصّ أعظم من المواضع التى من طرف القص إلى العنق فهو أكول قليل الحسّ . أما أنه أكول فلأن وعاء الغذاء كبير ، وأما أنه قليل الحس فلأن البطنة[2] تذهب الفطنة .

(ز) ومن كان القصّ[3] منه غليظاً قوى المفاصل فهو قوى فى نفسه . هذا الدليل مأخوذ من الذكر . وعلى العكس من كان القصّ منه ضعيفاً عديم اللحم فليس بقوى المفاصل . هذا الدليل مأخوذ من الأنثى .

---

(١) الصلب : فقار الظهر وفى التنزيل ﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ ويقال : هو من صُلب فلان . أى من ذريته . وفى التنزيل العزيز : ﴿ وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ﴾ .

(٢) البطنة : الامتلاء المفرط من الأكل والفطنة الحذق والفهم .

(٣) القَصّ : عظم الصدر المغروز فيه أطراف الأضلاع من الجانبين .

الفصل الثالث عشر

فى دلائل الحركات

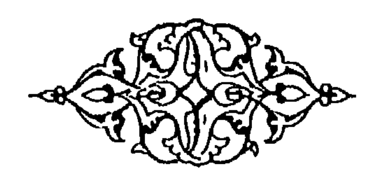
والحركة السريعة تدل على البطش

والحركة البطيئة دليل البلادة .

الفصل الرابع عشر

فى دلائل البطن

(أ) لطافة البطن تدل على جودة العقل .
(ب) عظم البطن تدل على كثرة النكاح .
(ح) دقة الأضلاع ورقتها تدل على ضعف القلب .



الفصل الخامس عشر

فى دلائل الظهر

(أ) عرض الظهر يدل على الشدة ، والكبر وشدة الغضب .
(ب) انحناء الظهر يدل على رداءة الخلق .
(ح) استواء الظهر علامة محمودة .
(د) الكتف الدقيق يدل على قلة العقل .
(هـ) الكتف العريض يدل على جودة العقل .
(و) شخوص[1] رأس الكتف يدل على الحمق .

الفصل السادس عشر

فى دلائل الذراع والكف

(أ) إذا كان الذراعان طويلتين حتى يبلغ الكف الركبة دل على نُبل النفس ، والكبر وحُبِّ الرياسة .
(ب) إذا قصر الذراعان جداً ، فصاحبه محب للشرجبان مع ذلك .
(ح) الكف اللينة اللطيفة تدل على سرعة التعلم والفهم .
(د) الكف القصيرة جداً تدل على الحمق .
(هـ) الكف الدقيقة جداً تدل على السلاطة والرعونة[2] .

---

(١) شخوص : ارتفاع ، والرأس من كل شيء أعلاه وأوله .

(٢) السلاطة : طول اللسان ، والرعونة صفة الأرعن وهو الأهوج فى منطقه ، والأحمق الطائش .

الفصل السابع عشر

فى دلائل الحفور والورك والساق والقدم

(أ) القدم[1] اللحيم الصلب يدل على سوء الفهم .
(ب) القدم الصغير الحسن يدل على أن صاحبه فخور وفرح .
(ح) رقة[2] العقب يدل على الجبن .
(د) غِلظ العقب يدل على الشدة .
(هـ) مُن كان القدم منه عظيماً ملائما للمشى فنفسه قوية هذا الدليل مأخوذ من جنس الذكر .
(و) من كان القدم منه صغيراً لطيفا ليس بالقوى فنفسه ضعيفة هذا الدليل مأخوذ من جنس الأنثى .
(ز) من كانت أصابع رجليه منعقفة[3] وكذلك أظفاره فهو وقح هذا الدليل مأخوذ من الطيور التى يكون مخاليبها منعقفة .
(ح) من كانت أصابع رجليه إصبعان منها مُلزقة[4] فهو جبان . هذا دليل مأخوذ من السمُانَى[5] ، ومن سائر أجناس الطير التى يكون قدم الرجل منها ملتصقاً .

---

(١) القدم مايطأ الأرض من رجل الإنسان ، وفوقها الساق ، وبينها المفصل المسمىً الرسغ [أنثى] .
(٢) العَقِب : عظم مؤخر القدم وهو أكبر عظامها .
(٣) منعقفة : منحية معوجة . أى فيها التواء وانحناء .
(٤) لزق الشيء بالشيء اتصل به لا يكون بينهما فجوة وألزقة فهو مُلزق .
(٥) السُّمَانَى : ضربٍ من الطير . واحدته : سُمَانَاةُ . وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم بلفظ السلوى : وهو طائر صغير من رتبة الدجاجيات جسمه منضغط ممتلىء ، وهو من القواطع التى تهاجر شتاء إلى الحبشة والسودان ، ويستوطن أوربة وحوض البحر المتوسط . واحدته : سَلواة .

(ط) غلظ الساقين. والعرقوبين من اللحم يدل على البلَه والقِحة[1] .
(ى) من كان الساق منه عصبيا فنفسه قوية هذا الدليل مأخوذ من جنس الذكر .
(ك) من كانت المواضع التى تلى الكرسوع منه عصبية فنفسه قوية هذا الدليل مأخوذ من جنس الذكر .
(ل) من كان الكُرسُوعُ[2] منه لحيما فنفسه ضعيفة هذا الدليل مأخوذ من جنس الأنثى .
(م) من كان فخذه لحيما ممتلئا فنفسه ضعيفة هذا الدليل مأخوذ من الأنثى .
(ن) من كان عظيم الأليتين[3] فهو قوى جبار .
(س) من كان أليته لحيمة سمينة فنفسه ضعيفة .
(ع) من كان اللحم على أليته قليلاً كأنه إنما مسح عليها مسحاً فأخلاقه رديئة هذا الدليل مأخوذ من القرود .
ههنا آخر الكلام والله أعلم بالصواب :



---

(١) القِحَة : قلة الحياء والاجتراء على القبائح .
(٢) الكرُسوع : طرف الزنّد الذى يلى الخنصر وهو الناتىء عند الرسغ .
وكرسوع القدم مفصلها من الساق [مذكر] وجمعه : كراسيع .
والمكرسع : الناتىء الكرسوع وهو عيب فى الرجل والمرأة .
(٣) الألية : العجيزة . أو ماركبها من شحم ولحم .

مصطلحات لا غنى لقارىء الكتاب عنها

١ ــ مصطلحات لاتتعارض مع المبادىء الإسلامية

رقم	المصطلح	ما يراد به
١	الفراسة	الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأحوال الباطنة
٢	القيافة	صناعة يستدل بها على معرفة الإنسان كما يستدل بها على حصول النسب ، وكذا الاستدلال بآثار الأقدام ، فمنها قيافة البشر ، ومنها قيافة الأثر .
٣	الرِّيافة	تعريف الرائف للماء المستجنّ فى الأرض . أقريب هو أم بعيد ؟
٤	العِيافة	عبارة عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر فى الطرق القابلة وهى التى تتشكل بشكل القدم .
٥	الزّكانة	إصابة الظن وصدقه .

٢ ـ مصطلحات حرمها الإسلام

رقم	المصطلح	مايدل عليه
١	الكهانة	ادعاء علم الغيب ، ومستقبل الزمان وأسرار الإنسان .
٢	العرافة	الاستدلال على الأمور الماضية ، أو الحاضرة أو المقبلة ، والإرشاد عن الضالة ، والشيء المسروق .
٣	النِّجامة	نسبة التأثيرات من خير أو شر ، والأمراض الى النجوم ، والإخبار عنها بالغيب .
٤	السحر	إراءة الباطل فى صورة حق ، والزعم بأن الرقى تقتل أو تمرض ، أو تفرق بين المرء وزوجه أو الإتيان بخوارق العادات .
٥	التطير	التفاؤل بالطير ، والتفاؤل والتشاؤم بصفة عامة



قوى الجسم كما عرفها القدماء

١ - القُوىَ الباطنة

عدد	القُوى	بيانـــها
١	القوة الجاذبة	وهى التى تجذب النافع من الغذاء
٢	القوة الماسكة	وهى التى تمسك الغذاء ريثما تتصرف فيه القوة المغَيرّة .
٣	القوة الهاضمة	وهى التى تحيل ما جذبته الجاذبة ، وأمسكته الماسكة إلى مزاج صالح .
٤	القوة الدافعة	وهى التى تدفع الفضل الذى لا يصلح أن يكون غذاء ، أو زاد على قدر الكفاية .

٢ - القوى الخادمة

عدد	القوى	بيانـــها
١	الغاذيّة	وهى التى تحيل الغذاء إلى مشابهة المغتذى ليخلف بدل ما يتحلل .
٢	النامية	وهى التى تزيد فى أقطار الجسم على التناسب الطبيعى ليبلغ به تمام النشو .
٣	المولّدة	وهى التى تولد ما يصلح أن يكون مبدأ لشخص آخر كالنطفة فى الحيوان ، والحب ، والنوى فى النبات .
٤	المصورة	وهى التى يصدر عنها التخطيط ، والتشكيل والملاسة ، والخشونة وأمثال ذلك .



٣ - القوى المُدركة

عدد	القوى	بيانـــها
١	الحس المشترك	وهى قوة فى مقدم الدماغ تدرك صورة المحسوسات على سبيل المشاهدة وذلك غير البصر .
٢	القوة المتخيلة	وهى التى تقوم بتركيب صورة ما وتوردها على الحس المشترك فتصير مشاهدة كالصور التى يدركها الحس المشترك وهى خزانته .
٣	الوهم	وهو قوة فى وسط الدماغ التى تدرك المعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كالصداقة والعداوة .
٤	المفكرة	وهى قوة فى وسط الدماغ تتصرف فى الصور الموجودة فى الخيال ، والمعانى الحاصلة فى الحافظة بالتفصيل والتركيب ، فإن كانت فى طاعة العقل تسمى مفكرة ، وإن لم تكن تسمى متخيلة وهى التى تتخيل إنسانا عظيم الرأس أو إنسانا ذا رأسين .
٥	الحافظة	وهى قوة فى مؤخر الدماغ تحفظ المعانى التى يؤدى إليها الوهم كأنها خزانته .

رباعيات

١	العناصر الأربعة	الدم ، والصفراء ، والسوداء ، والبلغم .
٢	الأمزجة الأربعة	الدموى ، والصفراوى ، والسوداوى ، والبلغمى .
٣	الطبائع الأربع	الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة .
٤	العلل الأربع	العلة المادية ، والعلة الفاعلية ، والعلة الصورية ، والعلة الغائية .
٥	الأسنان الأربع	سن النشوء ، سن الجدالة ، سن الكهولة ، سن الشيخوخة .
٦	الأمم الأربع	الفرس ، والروم ، والهند ، والترك

الفهـــرس

*** *** ***

رقم الإيداع ٩٠٣٤ / ٨٧

وكلاء التوزيع

السعودية

مكتبة الساعي : الرياض ت: ٤٣٥٣٧٦٨ – فاكس: ٤٣٥٥٩٤٥ – فرع جدة ت: ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم – بريدة ت: ٣٢٣١٤٣٤ – المدينة المنورة ت: ٨٢٤٢٧٧٥ – ص.ب : ٥٠٦٤٩ – ١١٥٣٣ الرياض
كنوز المعرفة : جدة ت: ٦٥١٠٤٢١ – فاكس: ٦٤٤٢٣٧٣ – ص.ب: ٣٠٧٤٦ – جدة: ٢١٤٨٧

المغرب

دار الاعتصام : 35/33 الممر الملكي – الأحباس – الدار البيضاء – ت: 85 42 30
فاكس: 39 45 44 02 212 00

الإمــــارات

دار الفضيلة : دبي – ديرة – ص.ب : ١٥٧٦٥ – ت : ٦٩٤٩٦٨ – فاكس : ٦٢١٢٧٦

البحــــريــــن

دار الحكمة ص.ب : ٢٣٨٧٥ – هاتف : ٣٣٦٠٣٢

الجماهيرية العربية الليبية

دار الفرجاني : ص.ب : ١٣٢ هاتف ٤٤٨٧٣ – ٦٠٤٤٣١ طرابلس : الجماهيرية العربية الليبية

فلسطين

مكتبة اليازجي : غزة شارع الوحدة – فاكس : ٨٦٧٠٩٩ – ت : ٨٦١٨٩٢